الدكتور جمال الدين السيال

التاريخ الإسلامي

وأثره في الفكر التاريخي الأوروبي في عصر النهضة

دار الثقافة
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت — لبنان

Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ

Marfat.com

Marfat.com

التاريخ الإسلامي

وأثره في الفكر التاريخي الأوروبي في عصر النهضة

بقلم

الدكتور جمال الدين الشيال

أستاذ التاريخ الإسلامي

وعميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية

دار الثقافة

بيروت

Marfat.com

138180

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

١ - الصعوبات التي تعترض الباحث في هذا الموضوع :

الحضارة وديعة البشر جميعاً ، يبني لهـــا كل جنس من الناس صرحاً ، ثم يعهد بها إلى الجنس الآخر فيضيف للبناء صرحاً جديداً ، وهكذا تخرج في النهاية وبها من كل جنس سمة وأثر من جهوده .

وقد ورث العرب حضارة من سبقهم فقبسوا منها ، وأخذوا عنهـــا ، ثم أضافوا اليها الكثير ، وأسلموها بعد ذلك وديعة في أيدي شعوب اوربا ، فكانت الحافز لانطلاقـة كبرى بدأت بمـا عرف في اوربا بعصر النهضة ، ثم تتابعت إلى أن تم بناء الحضارة الأوربية الحديثة والمعاصرة .

وانتقال الحضارة من شعب إلى شعب ، ودراسة المؤثرات والتفاعلات بين انواع الحضارات ، والتعرف على العناصر الأصلية في كل حضارة ، والعناصر

Marfat.com

الدخيلة عليهـــا ، والكشف عن الطرق التي انتقلت عبرها الحضارات ، والأساليب التي اتبعت للمزج بين بعضها والبعض الآخر ، كل هذا يدخل في نطاق الدراسات التاريخية ، ولكنه يعتبر من أشقهـا وأصعبها ، لأن المقبل عليها يحتاج إلى أُفق رحب وقراءات واسعة ليلم بالأسس التي قامت عليهـا الحضارات ، وهي في جملتهـا خلاصة مـا بذله الشعب صاحب الحضارة من جهود في ميادين العلوم والآداب والفنون .

والتقدم الحضاري لشعبٍ ما كان يمهد عادة لتفوقه وسيادته على غيره من الشعوب مما يدفع هذه الشعوب إلى الانبهار والاستكانة أول الأمـــر ، ثم تمر بالشعب المسود بعد ذلك مرحلة جديدة من التفكير والمقارنة بين أسباب الضعف والتأخر عنده وأسباب القوة والتفوق عند الشعب صاحب السيادة ، ثم تتتابع المراحـــل بعد ذلك فتبدأ بمحاكاة الضعيف للقوي والنقل عنه وبنظرته إلى ماضيه البعيد ومحاولة إحياء تراثه القديم ، ومن العنصرين معاً : عنصر النقل وعنصر الاحياء ، تبدأ نهضة جديدة تعاصرها في أغلب الأحوال شيخوخة تدرك الشعب السيد ذي الحضارة المتفوقة ، فيسلم الوديعة إلى الشعب الناهض ليكمل الرسالة ويضيف اليها جديداً .

ومظاهر الحضارة تقوم عادة على التقدم في العلم المادي والفكر الفلسفي ، ولهذا نلاحظ ان الشعب الناهض يعنى أكثر ما يعنى بالنقل عن هذه العلوم ، هكذا فعل العرب في نهضتهم الأولى فترجموا الكثير من كتب الرياضيات والطب والفلك والكيمياء وفنون الحـــرب والسياسة والفلسفة والمنطق ، ولكنهم — في هذا العصر الأول — أغلقوا عقولهم تماماً أمام كل مـا كان يحمل الطابـع الخاص للحياة اليونانية او الرومانية مثلا ، فـلم يأخذوا عن مؤرخ واحد ، ولم ينقلوا عن شاعر واحد ، وان المؤرخ ليتساءل دائمـــاً : تـُرى ماذا كان يعني المؤلفون المسرحيون أو ماذا كان يعني الشعراء الغنائيون أو ماذا كان يعني « هومر » مثلاً بالنسبة للعرب ؟!

Marfat.com

ومن هنا تنشأ الصعوبة الكبرى التي تعترض سبيل من يريد الكشف عن الأثر الذي تركته الدراسات التاريخية العربية في الفكر التاريخي الأوربي عند اتصال الشعبين العربي والاوربي أحدهمـــا بالآخر ، وما تلا ذلك من عصر النهضة .

فقد بدأت اوربا في يقظتها تنقل وتترجم المؤلفات العربية في مختلف العلوم ، ولكنها ركزت جهودها اول الأمر في العناية بالعلوم المادية والفلسفية كما سبق ان أسلفنا ، ولهذا كتب الكثيرون وبإفاضة وإسهـاب عن أثر الفكر العربي في نهضة أوربا في ميادين الفلسفة والهندسة والرياضيات والطب والفلك والجغرافيا ، ولكن احداً لم يتناول بالبحث والدراسة هذا الأثر في علم التاريخ .

وكانت هذه هي الصعوبة الأولى التي اعترضتني وأنا أتناول هذا الفصل ، فالمادة قليلة والطريق مظلم ، وكنت أتلمس السبيل لأعثر على شاردة هنا أو واردة هناك ، ولأجمع بين هذه وتلك لألقي بعض الضوء على الهدف الذي أسعى اليه .

وصعوبة ثانية تتصل بطبيعة علم التاريخ ونشأته ومكانته بـين العلوم ، وذلك ان إحصاء العلوم في الشرق والغرب على تلك العصور لم يكن يتضمن التاريخ أو يعترف بـــه كعلم من العلوم ؛ حقيقة ظهر في اوربا في العصور الوسطى وفي عصر النهضة عدد من المؤرخين وألفوا كتباً تاريخية كثيرة ، ولكن التاريخ لم يُعترف به كعلم ، ولم يكن يدرس في الجامعات الاوربية إلى أواسط القرن الثامن عشر[1] ، وكان الملك جورج الأول أول من أنشأ كرسياً للتاريخ الحديث في كل من جامعتي اوكسفورد وكمبردج في أواسط

---

(١) جمـــال الدين الشيال : التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر ، ص ٢٧ – ٢٨ .

Marfat.com

القرن الثامن عشر ، غير ان الاستاذ « جوش » يقول : « ولكن الأساتذة الذين شغلوا هـــذا الكرسي — ومن بينهم الشاعر (جراي Gray) — لم يحاضروا البتة أو قل ان حاضروا في هذا العلم » (١) ، وكذلك لم تعترف فرنسا بالتاريخ كعلم إلا في سنة ١٧٦٩ عندمـــا أُنشىء في الكوليج دي فرانس College de France كرسي للتاريخ والأخلاق .

ونتيجة لهذا كانت العناية بالتاريخ والدراسات التاريخية بوجه عـام في اوربا على عصر النهضة قليـلة ، وبالتالي كان النقل عن المؤرخين العرب والمؤلفات التاريخية العربية في أوائل عصر النهضة قليلاً كذلك .

وصعوبة ثالثة تقابل من يعالج هذا الموضوع ، وهي أن العصور الوسطى لم تعرف التخصص وتعترف به، بل كانت الدراسة في الغالب الأعم موسوعية بمعنى أن العالم او الأديب كان — على حد قول ابن خلدون — يأخذ من كل شيء بطرف ، فيكون شاعراً وفقيهاً وطبيباً وفيلسوفاً ومؤرخاً وجغرافياً في وقت واحد ، ويؤلف تبعاً لهذا في كل علم من هذه العلوم وقـد يشتمل كتاب واحد من كتبه على شيء من هذا العلم وشيء من ذاك ، ولهذا يجـد الباحث في موضوع أثر علم التاريخ أنه من العسير عليه ان يلتزم جانب الكتب التاريخية وحدها ، بل يجد أنه لزام عليه أن يتجول في نواحي الانتاج الفكري العربي والاوربي ليضع يده على الاجزاء التاريخية هنا وهناك، ليقارن بينها ، ويحدد مظاهر التشابه والخلاف ، ومعالم التأثر والتأثير ، ونخص بالذكر هنا علمي التاريخ والجغرافيا ، فالصلة بينهما كانت وثيقة دائماً وكثير من المؤرخـين العرب ضمّنوا كتبهم معلومات جغرافية ، وكثير من المؤلفات الجغرافية اشتملت على معلومات تاريخية وفيرة .

وصعوبة رابعة تتلخص في أن الباحث في هذا الموضوع يجد انـــه من

---

(١) Gooche: History and Historians in the 19th - Century, p. 12

Marfat.com

الواجب عليه أن يتسلح بأدوات كثيرة تمكنه من تحقيق هدفه ، وذلك أن الشعوب الاوربية لم تعن أول الأمر بالتاريخ العربي الإسلامي لذاته أو بدافع البحث العلمي ، بل عنيت به تحت تأثير دوافع مختلفة ، كانت في اول الأمر دينية مع قيام الحروب الصليبية ثم مع ظهور فكرة الدعوة للتبشير بالنصرانية بين الشعوب الاسلامية .

وسبقت العناية بالتاريخ العربي الإسلامي في اوربا ممهدات ، بدأت بالدعوة لتعلم اللغة العربية ثم الدعوة لإنشاء مدارس لتعليم هذه اللغة لرجال الدين والمبشرين ليتمكنوا من التفاهم مع المسلمين ومجادلتهم في الموضوعات الدينية ، وإظهار محاسن النصرانية ، وتبع هذه الدعوة جولات ورحلات قام بها نفر من هؤلاء القسس والمبشرين في ربوع العالم العربي الإسلامي للتبشير أولاً ولجمع المخطوطات العربية ثانياً .

واستتبع هذا محاولات لترجمة القرآن والحديث إلى اللغات الأوربية المختلفة ، واحتاجت الترجمة الى أداتها الكبرى وهو القواميس فوضعت معاجم كثيرة تجمع بين العربية واللغات الاوربية وفي مقدمتها اللاتينية .

ووجد رجال الدين اخيراً ان فهم القرآن وفهم الإسلام يستلزم معرفة وثيقة بسيرة الرسول وبتاريخ العرب بصفة عامة ، فتوفروا على دراسة المخطوطات التي جمعوها ، وترجموا عنها ، ونشروها اول الأمر ، ثم أخذوا يؤلفون بعد ذلك معتمدين عليها .

وعاصر هذه المحاولات كلها ظهور الطباعة والمطابع ، فصنعت حروف عربية ، وأنشئت مطابع عربية واستغلت استغلالاً طيباً لخدمة حركة التبشير أولاً ثم حركة الاستشراق بعد ذلك ، فطبع الانجيل بلغات مختلفة منها العربية ، ليوزع على مدى واسع ، ثم طبعت ترجمات القرآن والكتب التاريخية العربية والمؤلفة عن العرب .

Marfat.com

وعاصرت الدوافع الدينية وأعقبتهـــا دوافع اخرى تجارية وسياسية ودبلوماسية واستعمارية مع ظهور حركات الكشف الجغرافي ومحـــاولات الاستعمار ، فقد استعان الأوربيون في كشوفهم الجغرافية بالخرائط التي رسمها العـرب وبمعارفهم الملاحية ومؤلفـاتهم الجغرافية والفلكية والتاريخية ، ثم شجعوا تعلم اللغة العربية ليستعينوا بالعارفين بها في سفاراتهم الدبلوماسية ، وفي ارتياد البـلاد العربية ، والاتجـــار معها اولاً ثم استعمارها في خاتمة المطاف .

كل هذه مراحل متتابعة عني الأوربيون فيها بدراسة اللغة العربية والدين الإسلامي والتاريخ العربي لا لذاتها ولا من أجل البحث العلمي وحـده ، بل كأدوات لتحقيق اهداف اخرى ، حتى إذا استقرت الأمور في دول غرب اوربا وبين شعوبها على وضع معين ، وحتى إذا رسخت اقدام الجامعات الأوربية وتأصلت بها أُسس البحث العلمي وقواعده ، وحتى إذا كشفت العلاقات الجديدة بين اوربا والعالم العربي الغشاوة عن أعين الأوربيين ومحت مـا علق بأذهانهم من خرافات عن العرب والاسلام ، بـــدأ الأوربيون يعنون بدراسة تاريخ العرب والإسلام دراسة علمية موضوعية ، يريدون بهـا أن يعرفوا الحقائق ليستشعروا لذة المعرفة .

هذه المسيرة الطويلة المضنية لا بد ان يقطعها باحث هذا الموضوع وسط حشود الفرســـان الصليبيين ، وفي مواكب القسس والرهبان والمبشرين ، وفي ركاب التجار والبائعين ، وعلى سفن الكُشّاف والمغامرين ، وفي معية السفراء والمبعوثين ، وفي بلاط الأباطرة والملوك والسلاطين ، وفي معسكرات الفاتحين والمستعمرين ، وفي أقبية النساخين والطباعـــين ، وفي حجرات الشارحين والمترجمين ، وفي أروقة الباحثين والدارسين .

وخلال هـذا التجوال المتنوع وسط هذه الجماعات المتباينة ، وهذه الأجواء المختلفة ، وهذه الجهود المتتابعة المتدافعة ، يستطيع الباحث أن

Marfat.com

يلتقط شاردة من هنا او شذرة من هناك تشير إلى بوادر العناية بدراسة التاريخ العربي الاسلامي في اوربا ، او إلى مؤلف تاريخي قرىء او نسخ او ترجم ، او إلى المعابر التي سلكتها الثقافة العربية — ومن بينها التاريخ — إلى عقول الأوربيين ، او إلى تطور هذه العلاقات الثقافية وآثارها .

وقد فعلت أنا هذا كله ، وسرت هذه السير الطويلة المضنية ، وجلت هذه الجولات ، وخرجت بهذه الحصيلة المتواضعة التي أقدمها في هذا البحث راجياً أن أكون قد أزلت الصخور من الطريق ، ومهدته لغيري كي يستوفي الموضوع ويوفيه حقه .

٢ — معابر انتقال الثقافة العربية الاسلامية الى اوروبا :

ظهر الاسلام في شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الهجري ، ثم خرج العرب من صحرائهم يحملون رسالة الدين الجديد ، يطرقون بها أبواب الامبراطوريتين المجاورتين : الفارسية شرقاً ، والبيزنطية غرباً ، وقضوا على الأولى نهائياً وورثوا ملكها ، وأحالوه جزءاً من الدولة الإسلامية الجديدة ، واقتطعوا من الثانية أهم اجزائها المطلة على البحر الأبيض المتوسط في الشام ومصر وشمال افريقيا ، ثم عبروا المضيق الى اوروبا فاستولوا على اسبانيا ، وتقدموا شمالاً الى ان وقفت جيوشهم عند جبال البرانس .

وخلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة رسخت اقدامهم في هذه البلاد المطلة على البحر ، وأدركوا ما له من أهمية في الدفاع عن ممتلكاتهم وفي محاولة بسط نفوذهم على ما بقي من شواطئه جنوبي أوروبا ، فبنوا دور الصناعة وأنشأوا الأساطيل ، واستعانوا بها على الاستيلاء على الجزر المتناثرة في البحر يتخذونها قواعد للهجوم على السواحل الجنوبية لأوربا ، فضموا إليهم جزيرتي صقلية وكريت ، وتوالت غاراتهم الدائبة على جزيرتي سردينيا وقبرص ، وعلى شواطىء

Marfat.com

إيطاليا الجنوبية ، بحيث خضعت بعض مدنهـا كمدينة باري Bari لحكم المسلمين ، بينما خضعت مدن اخرى مثل أملف Amalfi لنفوذهم .

والى الشرق ، وفي نفس هـذه الحقبة من الزمن ، كانت حدود الدولة الإسلامية قد امتدت الى حدود الصين[1] .

ففي منتصف القرن الرابـع الهجري (العاشر الميلادي) كان العالم العربي الإسلامي – رغم انقسامه سياسياً – قد بلغ أقصى مدى في اتساعه شرقـاً وغرباً ، كما كان قد صنع له حضارة إسلامية واحدة ، وأقام حكومـة أو حكومات ذوات طابـع إسلامي موحد .

ولم يكد يبدأ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حتى بدأ الغرب الأوربي المسيحي يضيق بالعرب وبالاسلام ، ويعلن عن رغبته في عدم السماح لدين آخر غير المسيحية بالبقاء في أوربا .

وبدأ الصراع أول ما بـــدأ في غرب البحر الأبيض المتوسط ، وتقهقر المسلمون في شبه جزيرة ايبريا أمام تقدم القوى المسيحية ، وسقطت طليطلة في يد ألفونسو السادس القشتالي Alfonse VI of Castile في سنة ١٠٨٥ كما استولت مملكة اراجون على سرقسطة في سنة ١١١٨ .

وخلال النصف الأول من القرن الحادي عشر سقط جنوب ايطاليا في أيدي النورمان ، وفي النصف الثاني ، (في المدة من ١٠٦٠ إلى ١٠٩٠) استولوا على جزيرة صقلية ، كما استطاع البيزانيون – بتحريض من البـابا بندكت الثامن – أن يحتلوا جزيرة سردينيا .

هذه ظواهر واضحة تثبت مـــا ذكرناه سابقاً من أن الغرب الأوربي

---

(١) Kremers : Geography and Commerce in « The Legacy of Islam » 1949, p. 79-80.

Marfat.com

المسيحي كان قد بدأ يطالب ويعمل على استرداد أراضيه وممتلكاته من أيدي العرب المسلمين .

وفي هذا الإبّان تردد في الغرب المسيحي صوت آخر أعنف قوة يدعو أهل اوربا لاقتحام قلب العالم الاسلامي ذاته ، ومحاولة الإستيلاء على الأرض المقدسة مهد المسيحية هناك ، واستجابت شعوب غرب اوربا لهذا النداء ، وخرجت حشودهم تحمل الصليب ونجحت الحملة الصليبية الأولى – لعوامل كثيرة ترجع في معظمها لضعف العالم الإسلامي وتفككه أكثر مما ترجع إلى قوة الصليبيين – في الاستيلاء على سواحل الشام وبيت المقدس وإقامة أربع إمارات لاتينية هناك .

ورغم متاخمة حدود العالمين الإسلامي والمسيحي – لمدة قرون أربعة أو تزيد – شرقاً عند جبال طوروس في آسيا الصغرى،ووسطاً على شواطىء جنوب إيطاليا ، وغرباً عند جبال البرانس ، فان معرفة كل فريق بالآخر كانت ضئيلة غاية الضآلة ، وخاصة ما اتصل من هذه المعرفة بتاريخ شعوب الفريقين وحكوماتهم ونظمهم .

فالمؤرخون المسلمون عنوا العناية كلها بتاريخ الإسلام والعالم الإسلامي ، فالحضارة الإسلامية كانت في نظرهم هي الحضارة كل الحضارة ، والدين الإسلامي كان عندهم هو الدين كل الدين ، والبلاد الأخرى خارج حدود دار الإسلام يسكنها الكفار ، وهم في رأيهم جفاة غلاظ متبربرون ، ولهذا قل أن عني المؤرخون المسلمون بدراسة تاريخ هذه الشعوب الاخرى،حتى الشعوب المجاورة التي لها صلات بالمسلمين ، عنوا بها في نواح كثيرة أخرى فيما عدا التاريخ ، فالدولة البيزنطية مثلا جاورت الدولة الإسلامية ، وقامت بين الدولتين حروب كثيرة،وأسهب المؤرخون المسلمون في مواقع هذه الحروب ، وقد يكونون عنوا بالكلام عن نظم الحرب والقتال والجيوش عند

Marfat.com

البيزنطيين [1] ، وفي العصر الذهبي للنهضة العلمية العربية ترجم العرب عن اللغة اليونانية وغيرها من اللغات كتباً في علوم مختلفة كالكيمياء والطب والفلسفة والرياضة والمنطق،ولكنهم لم يحاولوا الاطلاع على ما كتبه المؤرخون اليونانيون والبيزنطيون أو يترجموا عنهم .

ولما قامت الحروب الصليبية ، وأتت الحملات والجيوش من شعوب اوربا المختلفة والتحمت مع المسلمين في معارك حربية كثيرة ، أسهب المؤرخون المسلمون في وصف أكبر المعارك وأصغرها ، ولكنهم لم يحاولوا التعرف على شؤون هؤلاء الافرنج داخل اماراتهم أو داخل دولهم الأصيلة في أوربا ، أو التعرف على تاريخ هذه الشعوب ودولهم القديمة التي حكمت في اوربا ، وذلك باستثناء كتاب واحد أشار المؤرخ المصري ابن ميسر إلى عنوانه فقط ، وهو « سيرة نصارى اوربا الذين أتوا في هذه الأيام إلى البلاد الإسلامية » [2] لمؤلفه الأمير حمد بن عبد الرحيم الحلبي (عاش في النصف الأول من القرن السادس الهجري = ١٢ م) ولكن هذا الكتاب ضـــاع للأسف الشديد فيما ضاع من تراثنا ولا نعرف شيئاً عن محتوياته .

وكذلك كان الحال في اوربا عندما فتح المسلمون الأندلس وسيطروا عليها ، وعندما ملكوا صقلية وهاجموا شواطىء جنوب إيطاليا ، وجاوروا شعوب اوربا هنا وهناك لم يعن المؤرخون الأوربيون في العصور الوسطى بالتعرف على تاريخ المسلمين وبلادهم ودولهم ، وإنما بدأت هذه العناية عندما ضعف شأن المسلمين وبدأت حركة الاسترداد في اسبانيا ، وعندما استعيدت صقلية واستولى عليها النورمان .

---

(١) انظر مثلاً : Bernard Lewis : The Use by Muslim Historians of Non-Muslim Sources. p. 181. In (Historians of the Middle East).

(٢) ابن ميسر : اخبار مصر ص ٧٠ .

Marfat.com

وحدث نفس الشيء في المشرق فاننا نلاحظ أن معرفة الأوربيين بتاريخ الإسلام والمسلمين كانت حتى بدء الحملة الصليبية الأولى ضئيلة في كمها ، مشوهة في كيفها .

وقد يبدو هذا غريباً إذا عرفنا أن المسيحيين كانوا على اتصال دائم بالمسلمين منذ بزوغ فجر الإسلام ، سواء أكان هؤلاء المسيحيون حجاجاً أم تجاراً أم جنوداً .

فالحجاج من جميع أنحاء اوربا كانوا يجوسون خلال البلاد العربية سعياً وراء زيارة بيت المقدس وكنيسة القيامة بها ، ومن الثابت أن الحجاج المسيحيين كانوا يتنقلون في حرية كما كانوا يقابلون بالترحاب وهم في طريقهم لزيارة الأرض المقدسة .

والتقارير والمذكرات التي كتبها نفر من هؤلاء الحجاج ولو انها لا تحوى إلا القليل من عقائد الاسلام وتاريخ العرب وأخلاقهم وعاداتهم ، فانها تتضمن روايات منصفة عن الأساليب التي كانوا يعاملون بها في البلاد الإسلامية ، وخير شاهد على هذا ما قاله واحد من هؤلاء الحجاج وهو برنارد الحكيم Bernard the Wise في مذكراته :

« كان السلام يسود بين المسيحيين والوثنيين (١) (يقصد المسلمين) ، بحيث أنني لو خرجت في سفرة ونفق جملي أو حماري الذي يحمل متاعي ، واضطررت أن أترك كل شيء بلا حارس وذهبت إلى المدينة المجاورة للحصول على دابة أخرى ، فانني كنت — عندما أعود — أجد كل ممتلكاتي كما هي لم يمسها بشر » .

---

(١) يستعمل الكاتب هنا كلمة Pagans ، وقد نقل هذا النص D. G. Munro في مقاله : The Western Attitude Towards Islam during the Period of the Crusades, » In Speculum. 1931, vl. p. 329-44.

Marfat.com

هذا الالتحام الجديد بين شعوب اوربا والشعب العربي الإسلامي في حركة الاسترداد الاسبانية أو في بلاط النورمان بعد استعادتهم لجزيرة صقلية أو في ميادين القتال الصليبية على سواحل الشام وعلى ضفاف نهر النيل دفع الطرفين إلى محاولة جدية لتعرف كل طرف على أحوال خصمه وعقائده ونظمه وتاريخه، وكان فريق المسلمين هو الأرجح كفة في ميادين الفكر والحضارة ، لأن الشعوب الاوربية كانت لا تزال في هذا الوقت تحاول محاولاتها الأولى للخروج من العصور التي أسمتها هي نفسها بالعصور المظلمة ، لهذا نجد ان الشعوب الاوربية تتسابق منذ ذلك الوقت للأخذ عن علوم العرب وترجمتها ودراستها والإفادة منها ، فكانت هذه الحركة إيذاناً ببدء عصر النهضة في اوربا وما تلاه وترتب عليه من تقدم علمي .

من هذا كله يتبين أن الفكر العربي الاسلامي اتخذ إلى الغرب المسيحي والعقل الاوربي معابر ثلاث :

- اسبانيا .
- جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا . ء
- الشرق الأدنى إبان الحرب الصليبية .

وكان الأثر في هـذه المعابر الثلاثة شاملاً لكل العلوم ، ولكننا سنقصر كلامنا هنا على أثر الدراسات التاريخية العربية في أوربا في كل معبر من هذه المعابر ، تاركين العلوم الأخرى للسادة الزملاء الذين سيوفونها حقها من البحث في فصول هذا الكتاب الأخرى .

●

Marfat.com

١ ــ أسبــانيـا

•

قصة الفتح العربي للأندلس وانتشارهم في شبــه الجزيرة الايبرية إلى أن اصطدموا بجيوش « شارل مارتل » في بلاط الشهداء أو (تور ــ بواتييه) قصة معروفة لا تحتاج إلى تكرار هنا ، وقصة النهضة العلمية التي أقام عمدها العرب في الأندلس منذ تم فتحهم لها إلى أن انتهى حكمهم في آخر معاقلهم غرناطة ، قصة معروفة كذلك لا تحتاج إلى تبيان هنا .

وإنما الذي نريد أن نوضحه هو عملية الخلط التي تمت بين العنصرين : العربي والأسباني ، وأثرها في النواحي الثقافية بوجه عام ، وفي الدراسات التاريخية بوجه خاص .

تعايش العرب مع الاسبان منذ اللحظة الأولى في مختلف المدن والبقاع وفي مختلف نواحي الحياة ، وقد اختلطت دماء المسلمين بدماء المسيحيين عن طريق المصاهرة والزواج ، فإن معظم القادة والجنود من الفاتحين لم يصحبوا معهم زوجاتهم ، فلما انتهى الفتح واستقرت بهم الحياة أقبلوا على الزواج من الاسبانيات ، وأول من فعل هذا عبد العزيز بن موسى بن نصير ، فقد تزوج من أيــلة (وتسمى بالاسبانية اخلونا Egilona) أرملة لذريق آخر مــلوك

Marfat.com

القوط ، وقد أسلمت بعد زوجها وتكنت بأم عاصم وأقامت مع زوجها في اشبيلية [1] .

وقد اعتنق عدد من الأسبان الدين الإسلامي فعُرفوا بالمسالمة ، كما نبت جيل من أولاد المسلمين الذين تزوجوا من اسبانيات ، وهؤلاء كوّنوا طبقة أخرى عرفت بالمولدين ، وكانوا يكونون على عهد بني أمية الكثرة الغالبة من السكان ، بل لقد كانت الدماء الاسبانية تجري في عروق بعض خلفاء بني أمية بالأندلس من ناحية أمهاتهم أو جداتهم ، وفي مقدمة هؤلاء الخليفة الكبير عبد الرحمن الناصر ، فقد كانت جدته الأميرة (انيجا Iniga) ابنة (فرتون غرسيس Fortun Garces) ملك بنبلونة [2] ، وقد يفسر هذا ما ذكره المؤرخون في وصفه من أنه كان أبيض أزرق العينين .

وقد كان هؤلاء المولدون يستعملون إلى جانب اللغة العربية لغة أخرى هي اللغة الرومانية ، أي اللاتينية الحديثة . وكان من الطبيعي أن تتداخل اللغتان وتؤثر كل منهما في الأخرى ، ومن مظاهر هذا التداخل ظهور فن الموشحات فيما بعد .

٤

وبقي نفر آخرون من الاسبان على دينهم فلم يسلموا ، وسمي هؤلاء بالمستعربين لأنهم عاشروا العرب واختلطوا بهم وتأثروا بهم في سلوكهم وعاداتهم وملابسهم ونواحي حياتهم المختلفة ؛ حقيقة لقد كفل لهم العرب حريتهم الدينية وأبقوا على كنائسهم وأديرتهم ، فكانوا يمارسون طقوس دينهم في حرية تامة كما كانوا يقيمون عادة في أحياء خاصة بهم ، وكانوا في معظمهم ينتشرون في المدن الكبرى وخاصة في قرطبة واشبيلية وطليطلة ، وكان لهم

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ١/٣٠ .

(٢) لطفي عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ، ص ٢٤ - ٢٥ .

Marfat.com

رئيس يعرف بالقومس ، وقاض خاص بهم يفصل في خصوماتهم تبعاً للقانون القوطي .

ورغم هذا كله فقد اختلطوا بالمسلمين اختلاطاً كاملاً ، وكان تأثرهم باللغة العربية والثقافة العربية قوياً واضحاً ، حتى أتى وقت أهملوا فيه اللغة اللاتينية وشغفوا حبّاً باللغة العربية ، فمهروا فيها ، بل ونظموا الشعر بها ، مما دفع عالماً من علمائهم ، وهو البرو القرطبي ، إلى أن يجأر بالشكوى من هذه الظاهرة فيقول :

« إن اخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين ، لا ليردوا عليها وينقضوها ، وإنما لكي يكتسبوا من ذلك أسلوباً عربياً جميـــلاً صحيحاً ، وأين تجد الآن واحداً — من غير رجال الدين — يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الأناجيل المقدسة ؟ .

ومن — سوى رجال الدين — يعكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار الأنبياء والرسل ؟.

يا للحسرة ! ان الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها ، ويؤمنون بها ويقبلون عليها في فهم ، وهم ينفقون أموالاً طائلة في جمع كتبها ، ويصرحون في كل مـــكان بأن هذه الآداب حقيقة بالاعجاب . فاذا حدثتهم عن الكتب النصرانية أجابوك في ازدراء بأنها غير جديرة بأن يصرفو اليها انتباههم .

يا للألم ! لقد أُنسيَ النصارى حتى لغتهم ، فلا تكاد تجد بين الألف منهم واحداً يستطيع أن يكتب إلى صاحب له كتاباً سليما من الخطأ ، فأما عن الكتابة في لغة العرب فانك واجد فيهم عدداً عظيماً يجيدونها في أسلوب منمق ، بل هم ينظمون من الشعر العربي مـــا يفوق شعر العرب أنفسهم فناً وجمالاً » .

Marfat.com

ولم يصلنا للأسف شيء من هذا الشعر الذي نظمه المستعربون باللغة العربية وإنما يؤكد هذه الحقيقة التي شكا منها البرو مخطوطة عربية ما زالت موجودة في المكتبة الأهلية بمدريد ، وتحتوي على الترجمة العربية للقانون المقدس ، قام بها في سنة ١٠٤٩ القس فنسيو (أوينجنسيس Vencencius) وقال في ختام الجزء الثامن منها بأسلوب عربي رصين :

« أتممت وأكملت أنا بنجسيس القس الخاطىء ، عبد عبيد المسيح ، هذا الجزء الثامن من القانون المقدس يوم الأحد في الوقت الثامن من ذلك النهار ، وهو أول أحد من الصيام الأربعين الذي يتلى فيه خبر المرأة السامرية التي استقاها سيدنا المسيح الماء في بئر يعقوب » .

وقد أهدى المترجم كتابه إلى أسقف يدعى عبد الملك ، وألحق الاهداء بأبيات جميلة يمدحه فيها بقوله :

كتاب لعبد الملك الأسقف الندب
جواد نبيل الرفد في الزمن الجدب
همام زكي الحدس واحد عصره
عليم كريم ذى حلوم وذى لب
يجدد فضل الله فينا بفضله
وعم به كل الانام هدى الرب
فلا زال في عز من الله شامل
مدى انهل مزن في قرى الأرض بالسكب[1]

---

(١) آنجل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، ص ٤٨٥ - ٤٨٧ ، و Françisco Javier Simonet: Historia de Los-Mozarabes de Espana, Madrid, 1903, p. 720.

Marfat.com

وقد تُرجمت الأناجيل الأربعة كذلك إلى اللغة العربية ، ترجمها مستعرب آخر يسمى ميجيل بن عبد العزيز .

ولم يقتصر دور المستعربين على قرض الشعر العربي وترجمة الكتب الدينية ، بل كانوا الوسيلة لنشر الثقافة العربية الاسلامية في شمال اسبانيا المسيحي ، فقد كانوا دائمي الهجرة إلى المناطق المسيحية إلى مملكتي قشتالة وأرجوان .

عاشت إذن هذه العناصر والأجناس المختلفة من عرب ومسالمة ومولدين ومستعربين ويهود جنباً إلى جنب في الفردوس الأندلسي ، يأخذ كل فريق عن الآخر وتؤثر كل جماعة في الجماعة الأخرى وتتأثر بها ، وإنما كان التفوق دائماً للغالب ولحضارته وثقافته ولغته .

وفي القرن الحادي عشر بدأ عصر الافاقة المسيحية وبدأ المسيحيون يعملون على استعادة الأرض الاسبانية من أيدي المسلمين ، وفي سنة ١٠٨٥ استولوا على مدينة طليطلة ، ومع هذا لم تفقد صبغتها العربية ، بل ظلت مركزاً ثقافياً يجتمع في جنباته علماء المسلمين والمسيحيين واليهود ، وفي بلاط ملوكها المسيحيين بدأت حركة احياء علمية ، وبدأت هذه النهضة في عهد الفونسو السابع ، إذ قام أسقف المدينة (Raimundo) بحماية هؤلاء العلماء ورعايتهم والحدب عليهم وتشجيعهم على الاستمرار في جهودهم العلمية القائمة حينذاك على الترجمة عن العربية ، فترجموا الكثير من الكتب العربية إلى اللغة القشتالية أولاً ، ثم إلى اللغة اللاتينية بعد ذلك ، وبعضها مما ترجمه العرب قبلا عن اليونانية والبعض الآخر مما ألفوه هم وضمنوه إضافات جديدة إلى الفكر الانساني ، وهذه وتلك كانت شيئاً جديداً بالنسبة لاوربا المسيحية مما خلق من طليطلة مركزاً ثقافياً كبيراً يجتذب اليه العلماء والأدباء والدارسين من مختلف أنحاء اوربا .

Marfat.com

ومما أسبغ على طليطلة هذه المكانة العلمية الممتازة مدرسة المترجمين التي أنشئت بها والجهود الضخمة التي بذلتها لترجمة العلوم العربية ، وخاصة كتب الفلسفة ، وفلسفة ابن رشد وشروحه على أرسطو بصفة خاصة ، وكان « ميخائيل سكوت Michael Scottus » أحد علماء هذه المدرسة ، هو أول من نقل مؤلفات ابن رشد عن العربية إلى اللاتينية ، وفتح بهذا الطريق أمام الفلسفة الإسلامية للعبور إلى الفكر الاوربي والتأثير فيه . كان التأثير كبيراً ومتعدد النواحي ، وأكثر ما يتضح في موسى بن ميمون وتلاميذه وفي الحركة الاسكولاستية النصرانية ، ومن أكبر من تأثر بفلسفة ابن رشد القديس « توما الاكويني » فقد تتلمذ عليها ، ولكنه انقلب عليها وبدأ يعارضها ، وحذت حذوه فيما بعد المدرسة الدومينكية فألف أحد رجالها (ريموند مارتين) كتابه « ضربة الدين Pugio Fidel » للرد على ابن رشد معتمداً على نصوص من مؤلفات فيلسوف عربي آخر هو الغزالي، وممن تصدى للرد على ابن رشد كذلك ونقض آرائه رايموند لوليو ، وهكذا أثارت فلسفة ابن رشد بعد ترجمتها نشاطاً فكرياً طاغياً في أوربا ، وانقسم الناس بين مؤيد لها ومعارض ، ومن أكبر مؤيد لها رجال المدرسة الفرانشيسكية ، وفي مقدمتهم روجر بيكون . وكانت جامعة باريس فيما بعد خير معهد احتضن أفكار ابن رشد ورعاها ودرسها .

ومن بين علماء الغرب القليلين الذين تعلموا العربية نشير إلى « روبرت ريتيننسيس Robertus Retenensis » ، و « هرمانوس دلماتا Hermanus Delmata » اللذين قضيا بعض الوقت في اسبانيا يدرسان مؤلفات العرب في الفلك والرياضة . واستجابة لطلب بطرس المبجل Petrus Venerabilis (١٠٩٢ أو ١٠٩٤ — ١١٥٧) رئيس دير كلوني ، قام هذان العالمان بترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية ، وقد أنجزا هذه الترجمة في

138180

Marfat.com

سنـة ١١٤٣ [١] .

وقد قام « روبرت ريتيننسيس » بترجمة القرآن [٢] ، بينما قام زميله « هرمـــانوس دالمـاتا » بكتابة رسالة عن عقيدة محمـــد وطبيعتها : « Doctrina Machumet et Nutritura eus » ورسالة أخرى عنوانها : « Chronica Mendosa et Ridiculosa Saracenorum » .

وكان « بطرس المبجل » كذلك هو الذي حث « بطرس الطليطلي Peter Toletanus » — ويبدو أنه كان واحداً من المستعربين — على أن يترجم رسالة « في الرد على الاسلام » عن العربية إلى اللاتينية ، وقد خرجت هذه الترجمة في لاتينية سقيمة مليئة بالأخطاء ، مما اضطر بطرس المبجل أن يدفع بهـــذه الترجمـة إلى سكرتـــيره « بطـــرس بيكتافينسيس Petrus Pictaviensis » ليحيلها إلى لاتينية سليمة مفهومة .

وفي سنة ١١٤٣ أرسل رئيس دير كلوني هذه الترجمات جميعاً إلى الراهب برنارد رئيس دير كليرفو Bernard Abbot of Clairvaux ليستعين بها القسس والآباء المسيحيون في جدالهم ونضالهم ضد الالحاد .

بدأت إذن مع حركة الاسترداد المسيحي في اسبانيا حركة نقل وترجمة كبرى عن الفكر العربي الاسلامي اتخذت لهـا مركزاً أول في طليطلة ، وعنيت أول ما عنيت بترجمة علوم الرياضة والطب والفلسفة ، ثم اتجهت هذه العناية إلى الهدف الأكبر وهو تدعيم المسيحية والدفاع عنها ، واستلزم هـذا دراسة الترجمات العربية للفلسفة اليونانية وشروح ابن رشد على فلسفة أرسطو ،

---

(١) Johanne Fiick-Die Arabischen Studien in Europa. Leipzig 1944. p. 89 - 90.

(٢) نشرت هذه الترجمة في بازل في ١٥٤٣ (Basel 1543) وقـــام على نشرها Theodor Bibliander ، انظر : فوك ، المرجع السابق ص ٩٤ .

Marfat.com

واستتبع هذا ترجمة القرآن ، ولفهم القرآن كان لا بد من التعرف على الإسلام كدين، وعلى سيرة الرسول صاحب هذا الدين، ومن هنا بدأت عناية الاوربيين بدراسة تاريخ العرب والإسلام .

ولكننا نرى لزاماً قبل أن نفصل الحديث عن التاريخ العربي وما بذل من جهود لترجمته أو التأثر به أن نشير إلى جهود أخرى بذلت فى ذلك الوقت لخدمة أداة هامة من أدوات الترجمة ــ لا في التاريخ وحـــده بل في مختلف العلوم ــ وهي القواميس والمعاجم ، فقد أحس المترجمون في طليطلة حاجتهم الماسة إلى هذه الأداة ، فوضعوا معاجم كثيرة نعرف منها :

المعجم اللاتيـــني العـــربي Glossarium Latino - Arabirum ، وقـد ألفه أسباني مجهول ــ ومن المرجح أنه كان من المستعربين [1] ــ ، وفي القرن الثالث عشر ألف « فراي بدرو ريموندو مارتن » معجماً آخر بعنوان « Vocabulista Arabigo » ، وخير من هذين ، المعجم الذي وضعه «فراي بدرو الكالا» في سنة ١٥٠٥ بعنوان « Vocabulista Arabigo » وضمنه الألفاظ العربية المتداولة باللهجة الغرناطية على عهده ، ثم كثرت بعد ذلك المعاجم التي تضم اللغة العربية واللغات الاسبانية والبرتغالية والفرنسية .

ظلت طليطلة منذ أواخر القرن الحـادي عشر مركزاً علمياً ممتازاً تجتذب اليها الطلاب والباحثين من مختلف أنحاء اوربا ، وذلك بفضل مدرسة المترجمين إلى أن ولي العرش الملك الفونسو العاشر الملقب بالعالم Elsabio في القرن الثالث عشر فدفع هذه المدرسة دفعة جديدة وقوية إلى الأمام ، واتسمت النهضة في عهده بسمة جديدة تتضح في استخدام اللغة القشتالية (الاسبانية) مكان اللغة اللاتينية وفي تدوين المصنفات التاريخية وخاصة في

---

(١) فوك : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

Marfat.com

الأدب والتاريخ ، وقـــد استعان هذا الملك العالم لتحقيق هذه النهضة بعدد كبير من العلماء من مسلمين ومستعربين ويهود ، وأشرف على الجميـع بنفسه ، ووضع لهم الخطط التي يسيرون بمقتضاها ، وكثيراً ما كان يستعمل قلمه لتصحيح بعض هذه الأعمال العلمية أو تعديلها .

وبهذا الاسلوب استطاعت هذه المدرسة أن تصب كل تلك الأصول العربية واللاتينية في قالب قشتالي ، وان تخرج لنا إنتاجاً تاريخياً وأدبياً خالداً على مر العصور .

وهناك شواهـــد كثيرة تشير إلى تأثر الدراسات التاريخية الاسبانية بمثيلتها العربية قبل إنشاء مدرسة الترجمة بطليطلة ، وهناك أمثلة اخرى تدل على أن هذا التأثر استمر متصلاً إلى القرن السابع عشر ، أي إلى الوقت الذي قامت فيه اسبانيا بالتخلص من العرب أناساً ، ومن العربية لغة وفكراً وثقافة ، وسنحاول فيما يلي أن نتتبع هذه المؤثرات العربية في الدراسات التاريخية الاسبانية :

بـدأت هذه المؤثرات مبكرة ، أي عقب الفتح العربي لاسبانيا بوقت قصير في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ففي هذا القرن ظهرت بعض المصنفات التاريخية من تأليف نفر من المستعربين الأندلسيين ، تتضمن بعض الروايات التاريخية التي سمعوهـــا أو نقلوها عن المؤرخين العرب ، وفي مقدمة هذه المصنفات .

– الحولية البيزنطية العربية لسنة ٧٤١

La Cronica Bizantina - Arabe de 741

وهي تاريخ عـــام يتضمن أخباراً عن بعض ملوك القوط في اسبانيا وأباطرة بيزنطة ، كما تتناول تاريخ العرب في المشرق وأخبار فتوحهم في

Marfat.com

اسبانيا ، ولم يخف مؤلف هذه الحولية ما كان يشعر به من إعجاب وتقدير للنبي محمد عليه السلام ، مما جعل بعض المؤرخين المحدثين يرجحون انه لم يكن اسبانياً ، وواضح من نصوص هذه الحولية أن كاتبها قـد اعتمد على بعض المصادر البيزنطية والعربية (١) .

– الحولية المستعربة لسنة ٧٥٤ او تاريخ مجهول المؤلف لمدينة قرطبة

La Cronica Mozarabe de 754 O Anonimo de Cordoba

وهي تاريخ عام يبدأ ببداية الخليقة وينتهي إلى حوادث سنة ٧٥٤ م ويشتمل على تاريخ عام للروم والعرب ثم يخصص قسماً لتاريخ اسبانيا ، ويبدو أن المؤلف كان مستعرباً ، وكان من رجال الدين الاسبان ، فهو دائب العناية بالتأريخ للحياة الدينية والكنسية في الأندلس وبخاصة في مدينتي سرقسطة وطليطلة ، ويلاحظ كذلك أن المؤلف كان من أنصار حزب الملك القوطي « غيطشه Witija » فهو يخصّه بكثير من المديح والتأييد ويشير إلى المعارك الـــتي قامت بينه وبين الفريق المعادي له وهـو فريق لذريق Rodrigo .

وتختلف هذه الحولية عن سابقتها بروحها الوطني الاسباني فقد خلت من المديح للرسول عليه السلام ، كما أنها نظرت إلى الفتح العربي على أنـه كارثة وطنية داهمة .

وعلى الرغم من هذا الاختلاف في الروح في الحوليتين ، فان بينهما تشابهاً

---

(١) Sanchez Albornoz: Fuentes del Siglo VIII, p. 32 - 33.
Sanchez Alonzo: Historia de la Historiografia Spanola, I. p. 92.

Marfat.com

كبيراً واضحاً في المضمون مما يرجح أن المؤلفين أخذا مادتهما من مصادر عربية وبيزنطية واحدة مع قدر مختلف من التصرف في النقل [١] .

– حولية البلدة La Cronica Albeldense .

وإذا كانت الحوليتان السابقتان قد كتبتا في الأندلس ، فان هذه الحولية تعتبر أول حولية كتبت في الشمال الاسباني المسيحي ، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى المكان الذي عثر عليها فيه ، وهو دير البلدة Albelda بالقرب من مدينة لوجرونيو Logronio في وادي الابرو بالشمال .

وتشتمل هذه الحولية على تاريخ مختصر لملوك القوط في اسبانيا وتاريخ للممالك المسيحية التي قامت في الشمال ، وتاريخ مختصر للعرب في اسبانيا والمشرق منذ عصر أبيهم ابراهيم الخليل ، ويصل الكتاب بأحداثه إلى السنوات العشر الاولى من حكم الملك « الفونسو الثالث [٢] » الملقب بالعظيم (٨٧٦ م) .

– La Cronica Profetica

ذكر مؤلف هذه الحولية أنها كتبت في ١١ أبريل سنة ٨٨٣ م ، وقد سميت بهذا الاسم بتأثير النبوءة التي ترددت في اسبانيا وقتذاك بأن الحكم العربي سينتهي بعد قيامه في اسبانيا بمائة وسبعين سنة ، أي في سنة ٨٨٣م ،

---

(١) Sanchez Alonso. Op. Cit: p 102 - 104 & Sanchez Albornoz: Op. Cit. p. 22.

(٢) Gomez Morenos, les Primeras Cronicas de la Reconquista (Bol. Hist, 1932. pp. 562 - 599).

Marfat.com

وهي السنة التي وضع المؤلف فيها هذا الكتاب متأثراً بزهو الانتصارات التي أحرزها ملك ليون الفونسو الثالث (العظيم) وقتذاك .

وواضح من الكتاب أن المؤلف كان مستعرباً من رجال الدين ، ويرجع البعض انه Dulcidio صديق الملك الفونسو الثالث وسفيره لدى أمير الأندلس العربي ، إذ يبدو من كلام المؤلف أنه اعتمد على مصادر عربية اطلع عليها أثناء إقامته في الأندلس وفي مدينة طليطلة بوجه خاص ، وأنه انتقل بعد ذلك إلى بلاط الفونسو الثالث ، وهناك ألّف كتابه .

والكتاب يتضمن ـ إلى جانب الأحداث التاريخية ـ تأريخاً لأنساب العرب وأعمالهم في اسبانيا [1] .

ـ الحولية القوطية La Chronica Gothorum :

وتقفز بنا هذه الحولية قفزة زمنية كبيرة ، فقد كتبت في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي ، ومؤلفها مستعرب من طليطلة ، وقد بدأها بتقديم وصف عام لاسبانيا ، أتبعه بتاريخ مختصر للرومان والقوط وللفتح العربي لاسبانيا . وفي هذه الحولية ـ ولأول مرة في المراجع التاريخية الاسبانية ـ نجد ذكراً لقصة ابنة يوليان مع الملك « غيطشة » وهي القصة التي روتها المؤلفات التاريخية العربية الأولى في الأندلس .

ويعتقد كل من المؤرخين الاسبانيين المحدثين : « مننديث بيدال » و « وسانشيه البرنث » أن التأثير العربي في هذه الحولية واضح تمام الوضوح ، مما يؤكد أن كاتبها قد اعتمد على بعض المصادر العربية وبصفة

---

(١) Sanchez Alonzo: op. cit. p. 106, nota 20 & Sanchez Albornoz : op. cit. p. 103 - 108.

Marfat.com

خاصة على النص العربي لتاريخ الرازي لأن الترجمة البرتغالية لهذا التاريخ لم تكن قد تمت قبل هذا الوقت (١) .

ونرى لزاماً علينا أن نقف هنا وقفة طويلة ، فقد لاحظنا أن الحوليات الثلاث الاولى قد اعتمدت على مراجع تاريخية عربية ، وخاصة في الأجزاء الخاصة بتاريخ الأندلس بعد الفتح العربي ، ولكننا لم نستطع تحديد أسماء المؤرخين أو المراجع التي تأثرت بها ، أما في هذه الحولية الرابعة فقد قررنا أنها اعتمدت على مؤرخ بعينه ، هو أحمد بن محمد الرازي .

فمن الواجب إذن أن نقف هنا ـ كما أسلفت ـ وقفة طويلة نتعرف فيها على نشوء المدرسة التاريخية العربية في الأندلس وتطورها إلى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ونتعرف فيها كذلك على أحمد بن محمد الرازي وجهوده ومؤلفاته التاريخية . وسنرى خلال هذه المرحلة الطويلة عبر قرون أربعة ، صوراً طريفة غاية الطرافة من اختلاط الثقافات والدراسات التاريخية المختلفة وتأثير بعضها في البعض الآخر .

وإذا كان من المتعارف بين المؤرخين أن أول مؤرخ لمصر الاسلامية هو عبد الرحمن بن عبد الحكم ، فان المتعارف بينهم كذلك أن أول مؤرخ للأندلس الاسلامية هو عبد الملك بن حبيب (١٧٩ = ٧٦٦ ـ ٢٣٨ = ٨٥٣ ـ ٨٥٤) وكان كما تذكر المراجع نحوياً عروضياً شاعراً حافظاً للأخبار والأنساب متصرفاً في فنون العلم ، وقد رحل إلى المشرق وتردد على مجالس العلم في مدنه المختلفة ، وقد أصاب في الأندلس ـ بعد عودته ـ شهرة واسعة حتى لقبه الناس « بعالم الأندلس » واستقر في مدينة قرطبة، وفي مسجدها الجامع كان يعقد حلقات دروسه .

---

(١) Menendez Pidal: Floresta de leyendas. Madrid 1925, I, p. 82 .

Marfat.com

ولعبد الملك بن حبيب مؤلفات كثيرة في علوم مختلفة كالطب والفلك والأنساب والفقه ، ولم يبق منها إلا كتابه في التاريخ ـ وهو ما يعنينا هنا ـ وتوجـــد منه نسخة مخطوطـــة في المكتبة البودلية بأكسفورد [1] ، وعنوانه كما هو مثبت على هذه المخطوطة :

« كتاب في ابتداء خلق الدنيا وذكر ما خلق الله فيها من ابتـداء خلق السموات وخلق البحار والجبال والجنة والنار ، وخلق آدم وحواء، وما كان من شأنهما مع إبليس ، وعدة الأنبياء نبياً نبيـــاً الى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ، وعدة الكتب المنزلة ، وعـــدة الخلفاء الى حين استفتاح الأندلس ، وما وجد فيهـا من الذهب والفضة والجوهر والياقوت والزمرد والأمتعة ، وما أخرج منها ، وعدة ملوكها ومن وليهـــا ، وذكر شيء من الحدثان وما يعلم منها في بعض البلدان ، وكم عمر الدنيا وما مضى منهـا وما بقي الى أن تقوم الساعة. تأليف الفقيه عبدالملك بن حبيب ـ رضي الله عنه ـ وفيه ذكر القضاة ـ قضاة قرطبة ـ لابن حارث » .

فابن حبيب جعل تاريخ العالم مقدمة لتاريخ الأندلس ، ومع ما لهـــذا الكتاب من أهمية باعتباره أقدم مؤلف لمؤرخ أندلسي عن تاريخ الأندلس فإن قيمته التاريخية ضئيلة ، لأنه يخلط الحقائق التاريخية بالروايات الأسطورية عن فتح العرب للأندلس وما كان بها من كنوز ، غير أن السمة الهامـة التي نحب أن نشير إليها هنا أن ابن حبيب قد نقل الكثير من أخبار الفتح عن شيوخه المصريين كما اعتمد كذلك على ما كان يتناقله الأندلسيون على أيامـه في شأن افتتاح الأندلس[2] .

---

(١) Ms. Marsh, 288, Bodleian Library, Oxford.

(٢) انظر : (المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٧) و (انجل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، ص ١٩٣ ـ ١٩٦) و (لطفي عبد البديع ، الاسلام في اسبانيا ، ص ٦٦ ـ ٦٧) .

Marfat.com

وتنتقل زعامة المدرسة التاريخية العربية بالأندلس في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الى مؤرخنا الذي أردنا التعرف عليه ، أحمد ابن محمد الرازي ، وهو ينتمي الى أسرة أنجبت ثلاثة من المؤرخين كان هو أحدهم وأشهرهم ، أما الأول فهو أبوه محمد بن موسى الرازي وهو مشرقي الأصل من مدينة الري ، وقد وفد على الأندلس في سنة ٢٤٩ (٨٦٤) واستقر في مدينة قرطبة ، واشتغل أول الأمر بتجارة الحلى والعقاقير ، ثم تفرغ للعلم ، وله مؤلفات في تاريخ الأندلس أهمها : « كتاب الرايات » وقد بقيت منه قطع متناثرة في المراجع التاريخية الأخرى ، وفيه ذكر دخول موسى بن نصير وكم راية دخلت معه من قريش والعرب ، وعدتها عنده نيف وعشرون راية .

ثم خلفه ابنه أحمد بن محمد (٢٧٤ = ٨٨٨ — ٣٢٤ = ٩٣٦) ، وكان أديباً شاعراً خطيباً ، ولكنه لقب « بالتاريخي » ، لكثرة اشتغاله بالتاريخ والتأليف فيه ، وقد أشارت المراجع التي ترجمت له الى أهم مؤلفاته التاريخية وهي :

— « أخبار ملوك الأندلس وخَدَمتهم وغزواتهم ونكباتهم »
— « كتاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس ، في خمسة أسفار ضخمة »
(وقد اعتمد ابن الأبار كثيراً على هذا الكتاب) .
— « كتاب في صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها » .
— « كبار الموالي الأندلسيين » .

وقد ضاعت هذه المؤلفات جميعاً ولم يبق منها إلا قطعة في صفة الأندلس ، نقلها أول الأمر عن العربية إلى اللغة البرتغالية بأمر الملك البرتغالي ديونيس (١٢٧٩ — ١٣٢٥) قس يسمى « خيل بيريز Jil Perez » وكان يساعده في الترجمة جماعة من المغاربة يدعى أحدهم « المعلم محمد Maese Mohamad » ويروي الدكتور حسين مؤنس عن دوزي وجايانجاس أن القسم الثاني

Marfat.com

من هذا الكتاب في ترجمته البرتغالية ـ وعنوانه « تاريخ اسبانيا منذ وصول اشبان بن يافث اليها إلى دون رودريجو (الملك لذريق) » ـ إنما هو وضع خيـل بيريز نفسه ، أما القسم الثالث ـ ويتناول تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي إلى عصر الحكم المستنصر ـ فهو ترجمة مختصرة لكتاب الرازي ، وقد نقلت هذه الترجمة البرتغالية إلى اللغة الاسبانية تحت عنوان : « Cronica del Moro Rasis » أي تاريخ المسلمين للرازي ، وناقلها الى اللغة الاسبانية مجهول الاسم ، وقد نشر جاينجاس قسماً من هذه الترجمـة في سنة ١٨٤٠ ، وأكمل نشرها فيما بعد رامون منندث بيدال في « فهرس المدونات » في المكتبة الملكية بمدريد Catalogo de Cronicas de la Real Biblioteca .

واذا كنا قد ذكرنا أن مؤلف الحولية القوطية قد تأثر بمؤلفـات الرازي التاريخية فمن الواضح أنه اعتمد على النص العربي لهذه المؤلفات لأنه كتب حوليته في أوائل القرن الحادي عشر ، وهاتان الترجمتان البرتغالية والاسبانية يرجع تاريخهما الى القرن الثالث عشر ، فإذا كان لهما من أثر في المؤلفـات التاريخية الاسبانية فإنما جاء هذا الأثر متأخراً وفي الكتب التي وضعت بعـد هذا القرن .

وثالث المؤرخين من آل الرازي هو عيسى بن أحمد ، وهو حفيد الأول وابن الثاني، ومن مؤلفاته كتاب في تاريخ الأندلس وثان عن حجاب الأندلس، وكلاهما مفقود ، ولهذا لا يعنينا أمره في شيء هنا ، وإنما نعود مرة أخرى الى أحمد بن محمد لنتعرف الي البيئة العلمية التي نشأ بين ظهراتيها ، فدراسـة هذه البيئة تلقي دون شك أضواء كثيرة على مجالات الالتقاء الفكري بـين ثقافات متعددة على صعيد الأندلس في الحقبة الممتدة من منتصف القرن الثالث الهجري الى منتصف القرن الرابـع ، ونبدأ بالاشارة الى عالم أندلسي كبير كان استاذاً لأحمد بن محمد الرازي ، وكان له فضل كبير في توجيه الناس الى العناية بعلمي التاريخ والجغرافية والتأليف فيهما، ذلك العالم هو قاسم بن أصبغ

Marfat.com

البياني ، وهو كما يقول الدكتور حسين مؤنس واحد من رجال جيل « عاصر العصر الذهبي الأندلسي ، عصر عبد الرحمن الناصر وابنـه الحكم المستنصر ، جيل جليل نقل الأندلسي بعمله وجهده وإخلاصه للعلم من دور النقل والتبعية الى دور الابداع واستقلال الشخصية ، بـل الى القيادة في كثير من نواحي المعرفة ، ورجال هذا الجيل هم الذين وسعوا نطاق العـلم في كثير من نواحي المعرفة ، فلم تقتصر عنايتهم على علوم الدين من القرآن وحديث وفقه ، بـل شمل اهتمامهم بالأدب والتاريخ وتراجم الرجال والجغرافيـة والفلسفة والطب والنبات وعلوم الأوائل أيضاً، ومعظم رجال هذا الجيل من أصحاب الرحلات الطويلة الى الشرق ، رحـلات البحث والطلب والسماع على الشيوخ في شتى نواحي العالم الاسلامي وانتساخ أمهات الكتب والعودة بهـا الى الأندلس ونشرها بين أهله »[1] .

وقد أشار حسين مؤنس الى أسماء كثيرين من رجال هذا الجيل ومؤلفاتهم التاريخية ، ويعنينا هنا أن نخص بالذكر قاسماً بن أصبغ أستاذ أحمد بن محمد الرازي ومترجم تاريخ هروشيوش عن اللاتينية الى العربية .

ولد قاسم بن اصبغ في بلدة بيانة من أعمال قرطبة في ٢٠ ذي الحجة سنة ٢٤٤ (٢ نوفمبر سنة ٨٥٩) ، وعمّر ستاً وتسعين سنة وتوفي في ١٥ جمادى الأولى سنة ٣٤٠ (٢٠ اكتوبر ٩٥١) ، ورحل قاسم في شبابه الى المشرق وتتلمذ على عدد كبير من نوابغ علمائه ، وعني أثناء التحصيل أكثر مـا عني بالتاريخ ، ثم عاد الى وطنه وقد حصل علماً كثيراً ، فأقبل الطلاب عليـه ينهلون من علمه ويتزاحمون على حلقات درسه .

ومع أن الأبحاث التاريخية الحديثة قد أثبتت أن قاسم بن اصبغ قد شارك

---

(١) حسين مؤنس : تاريخ الجغرافيـة والجغرافيين في الاندلس ، مدريد ١٩٦٧ ، ص ٣٠ .

Marfat.com

في ترجمة تاريخ هروشيوش الى اللغة العربية ، فان الكتب العربية التي ترجمت لقاسم لم تشر الى جهده العلمي هذا .

وقد تناول عدد من الكتاب بالبحث موضوع الترجمـــة العربية لتاريخ هروشيوش ، منهم المستشرق الإيطالي ج ، ليفي دلافيدا في بحث طويل نشره بمجلة الأندلس ، المجلد ١٩ ، سنة ١٩٥٤ ، عدد ٢ ، ص ٢٥٧ — ٢٩٣) ، والأستاذ فؤاد السيد في المقدمة التي قدم بها كتاب طبقات الأطباء والحكماء لأبي داود سليمان بن غسان الأندلسي (مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥ ، ص كط — لح) .

والدكتور حسين مؤنس في كتابه الأخير : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس (مطبوعات معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ١٩٦٧ ، ص ٣٢ — ٤٢)وموجز ما ذكروه — مع اختلاف في الإيجاز والاستيفاء — أنه كان من المعروف ان تاريخ هروشيوش قد ترجم الى العربية ولكن أحداً لم يكن قد فطن إلى وجود نسخة خطية من هذه الترجمة العربية[1] ، وكان أول من نبه إلى وجود هذه النسخة هو المستشرق الروسي كراتشكوفسكي ، كما كان سلفستردي ساس أول من نبه إلى وجود الترجمة العربية لهذا الكتاب حـــين نشر نصاً منقولاً عن طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (القرن السابع الهجري

---

(١) النسخة المخطوطة الوحيدة الموجودة من هذا الكتاب توجد في مكتبة جامعـــة كولومبيا في مدينة نيويورك تحت رقم X, 993. 712 H. وتقع في ١٢٩ ورقة ، وتنقصها بعض أوراق في أولها وفي آخرها ، وهي مكتوبة بخط أندلسي جميـــل ، أنظر : حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ٣٣ ، هامش ١ ، ٢ ص ٣٤ ، هامش ٢)، هذا وقد كتب فيليب حتي بحثاً عن هذه المخطوطة في :

Journal of the American Oriental Society. 59 (1939), p. 125

ونشر كراتشكوفسكي بحثاً عن نفس المخطوطة في نفس المجلة (مجلد ٥١ ، سنة ١٩٥١ ، ص ١٧١ - ١٧٢ ومجلد ٦٣ ، سنة ١٩٤٣ ، ص ١٨٧) .

Marfat.com

— ١٣ م) وقد أورده ضمن ترجمة أبي داود سليمان بن جلجل وقال أنه نقله عن مقدمة كتاب « تفسير أسماء الأدوية المفردة لديسقوريديس .

وخلاصة هذا النص أن كتاب ديسقوريديس ترجم إلى العربية في مدينة بغداد في عهد الخليفة المتوكل، وقام بالترجمة أصطفن بن بسيل الترجمان، وراجعها حنين بن اسحاق ، وظلت هذه الترجمة مستعملة في المشرق والأندلس إلى أيام عبد الرحمـان الناصر « فكاتبه ارمانيوس ملك قسطنطينية ، أحسب في سنة سبع وثلاثين وثلاثماية وهاداه بهدايا لها قدر عظيم كان من بينها كتاب ديسقوريديس وكتاب هروشيس صـاحب القصص » وهو تاريخ للروم عجيب ، فيه اخبار الدهور وقصص الملوك الأول وفوائد عظيمة ، وكتب ارمانيوس في كتابه الى الناصر «ان كتاب ديسقوريديس لا تجتنى فائدته الا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني ، ويعرف اشخـاص تلك الادوية ، فان كان في بلدك من يحسن ذلك فزت ايها الملك بفائدة الكتاب ، أما كتاب هروشيس ، فعندك في بلدك من اللطينيين من يقرأه باللسان اللطيني ، وان كشفتهم عنه نقلوه لك من اللطيني الى اللسان العربي [١] .

وقد عاشت هذه الترجمة العربية قرونا طويلة الى القرنين الثامن والتاسع الهجريين (١٤، ١٥م) ، فقد اشار ابن خلدون في تاريخه الى انه اطلع عليها ونقل عنها ، وكذلك فعل تلميذه المؤرخ المصري احمد بن علي المقريزي ، بل ان ابن خلدون هو المؤرخ الوحيد الذي امدنا بمعلومات قيمة عن الظروف التي تمت فيها هذه الترجمة وعن مشاركة قاسم بن اصبغ في اتمامها ، فقد قال عند تعداد مراجعه التي افاد منها وهو يتكلم عن حكام بني اسرائيل بعد يوشع : وما نقله ايضاً هروشيوش مؤرخ الروم في كتابه الذي ترجمه للحكم المستنصر

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق نور الدين عبد القادر وهنري جاهيه ، الجزائر ١٩٥٨ ، ص ٣٩ — ٤٠ ، وانظر ايضاً : (ابن جلجل : طبقات الاطباء والحكماء ، مقدمة الكتاب بقلم فؤاد السيد) .

Marfat.com

من بني أمية قاضي النصارى وترجمانهم بقرطبة ، وقاسم بن أصبغ ...[1] ، ويقول ابن خلدون في موضع آخر :

« وخبر هروشيوش مقدم، لأن واضعيه مسلمان كانا يترجمان لخلفاء الاسلام بقرطبة ، وهما معروفان ووضعا الكتاب ،فالله أعلم بحقيقة الامر في ذلك[2].

وقد ناقش حسين مؤنس الامور المتصلة بتاريخ ترجمة الكتاب والمترجمين اللذين قاما بالترجمة ، فرجح أن يكون الكتاب قد ترجم في عهد ولاية الحكم المستنصر للعهد لا في عهد خلافتـه ، فقد ولي الخلافة في سنة ٣٥٠ (٩٦١) وقاسم بن أصبغ توفي سنة ٣٤١ (٩٥٢) بعد ان عمر طويلاً وفقد ذاكرته قبيل وفاته ، في حين أنه كان مؤدبا للحكم إبان ولايته للعهد وكانت صلته به وثيقة، أمّا ما أجمله ابن خلدون في نصه الثاني حين وصف المترجمين بأنهما مسلمان فغير صحيح ، والصحيح ما قاله في النص الاول وهو أن احدهما مسلم وهو قاسم بن اصبغ ، والثاني الذي نعته بانه قاضي النصارى وترجمانهم فلا بد ان يكون مسيحياً لأن هذه الوظيفة ـ كما تشير المراجع الأندلسية ـ كان يتولاها دائماً نصراني، وقد رجح سيمونيت ان يكون هذا القـاضي واحداً من اثنين من النصارى توليا هذه الوظيفة في ذلك الوقت وهما : حفص بن البر (او الفارو) والوليد ابن خيزران وكان يسمى أيضاً بن مغيث .

هـــذه هي خلاصة القصـة المتصلة بترجمـة تاريخ هورشيوش (باولوس أوروزيوس) المعنون « بكتب التـــاريخ السبعـــة في الرد على الوثنيين : Historiorum libri septem adversos paganos » الى اللغة العربية في القرن الرابع الهجري (١٠ م) ، ويتضح منها ان هذا الكتـــاب تداولته أيدي العلماء في الاندلس وقبسوا مما فيه من معلومات تاريخية وجغرافية هامة وهو

---

(١) ابن خلدون : كتاب العبر ، طبعة بولاق ، ج ، ٢ ص ٨٨..

(٢) نفس المرجع والجزء ، ص ١٩٧ .

Marfat.com

ـ كما يقول حسين مؤنس ـ « كتـاب مصوغ في لغة ادبيـــة جيدة تغري القارىء بالمطالعة وتفتح اذهان المتطلعين الى الجغرافية والتاريخ على آفاق جديدة من العلم والمعرفة وتبعث من يريد منهم على الاتجـــاه بملكاته الى هذه الناحية ، ومن الواضح ان اثر هذه الترجمة في هذا الميدان كان مباشراً ، فمن بين تـــلاميذ قاسم بن أصبغ ظهر أول مؤرخ جغرافي اندلسي وهو احمد بن محمدالرازي ، وقد كتب كتابه على غرار كتاب هروشيوش : مقدمة جغرافية وافية يليها التاريخ ، واخذ عن هروشيوش الوصف العام لشبه الجزيرة والتصور البطلسيوسي لهيئتها ووصفها ، وعلى هذا الاسلوب مضى من أتى بعد الرازي من مؤرخي الاندلس وجغرافييه ، فقد حرص كل مؤرخيه على أن يقدموا لمؤلفاتهم بمقدمات جغرافية ، واما الجغرافيون منهم فقد ضمنوا اوصافهم للبلاد ما حضرهم من وقائع التاريخ كما نرى عند العذري والبكري ، ومن الجدير بالملاحظة أننا لا نجد كتاباً في التاريخ في الاندلس لا نستطيع ان نعدّه ايضاً كتـاب جغرافية .

ويرجع هذا في المكان الأول الى الصورة التي ظهر بها تاريخ هروشيوش في ترجمته العربية ، ويرجع في المحل الثاني الى اسلوب قاسم بن اصبغ فهو اسلوب سليم قوي بليغ في معظم اجزائه ، والى مكانة قاسم نفسه ، فقد كان اشتراكه في ترجمة هذا الكتـاب إعزازاً للجغرافية والتـاريخ وإشعاراً للناس بأنهما من العلوم الجديرة بعناية أهل العلم وطالبيه [1] .

لم يكن غريباً اذن أن يتأثر احمد بن محمد الرازي بأستاذه قاسم بن أصبـغ وأن ينهج نهجه فيقبل على علم التاريخ ويكثر من قراءة مصنفاته والتأليف فيه حتى عرف « بالتاريخي » وقد تأثر الرازي في منهجه تأثراً واضحاً بكتاب

---

(١) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٣٩ ـ ٤٠ وما بعدهما وما بهذا الفصل من دراسة قيمة ممتعة للمخطوطة الموجودة من الترجمة العربية لكتاب هروشيوش .

Marfat.com

هروشيوش ، فبدأ مؤلفه في تاريخ الاندلس بمقدمة جغرافية اعتمد فيها اعتماداً كبيراً على هروشيوش ، ثم اعقبها بفصول تاريخية ضمنها مقتبسات من المشارقة والاندلسيين معاً ، واصبح الرازي بعد ذلك نقطة البداية لكل من أتوا بعده من مؤرخي الأندلس وجغرافييه ، يلتزمون منهجه وينقلون عنه ثم يضيفون اليه ما استجد .

وهذه صفحة مشرقة في تاريخ العرب ، يتضح اشراقهـــا في هذا الجهد المشترك الذي تعاون فيه عالم مسلم مع قس مسيحي على نقل كتاب هروشيوش من اللاتينية الى العربية برعاية خليفة مسلم كان اقرب الى طلاب العلم والمعرفة منه الى الحكام ذوي السطوة والجاه ، ثم يتألق هذا الاشراق حين يأخذ احمد بن محمد الرازي هـــذا الرصيد العلمي الأول فيوسعه ويطعمه ويضيف اليه ، ويجعل منه اساساً متيناً يبني عليـــه ويكمله رعيل بعد رعيل من المؤرخين والجغرافيين العرب الى ان تنتهي السلسلة بابن خلدون والمقريزي .

ثم تغيب شمس الاســـلام والمسلمين في الأندلس ويأتي ملك مسيحي هو ألفونسو العاشر المعروف بالحكيم فيأمر بترجمة كتاب الرازي الى الاسبانية ويضيف اليه تاريخاً عاماً لاسبانيا ، ويصبح كتـــابه هذا أساساً لكل ما أُلف في تاريخ اسبانيا وجغرافيتها بعد ذلك باللغة الاسبانية الى القرن السادس عشر وأوضح ، ما يكون هذا الأثر في المؤلف الاسباني المعروف « بالتاريخ العربي La Cronica Saracina » الذي كتبه بدرودل كرال Pedro del Corral

ويعلق الدكتور حسين مؤنس على هذه المعاني الجليلة بقوله :

« فأي برهان هو انصع من هذا على اتصال شجرة المعرفة الانسانيـــة واستمرارها من عصر لعصر ، وتعاون الاجيال على رعايتها والعناية بها رغم اختلاف الأديان واللغات والعصور ؟ »

وأي برهان هو آكد من هذا على ما قام به العرب من دور جليـــل في

Marfat.com

تطوير المعرفة الانسانية والسير بمشعل الحضارة الانسانية خلال العصور التي تسمى مظلمة – وما هي مظلمة بحال – ؟

هنا نرى دور العرب من الوضوح بحيث يكاد يلمس باليد، وهذا فرع واحد من العلوم وفي الميادين الأخرى براهين أخرى لمن درس وبحث وطلب الحقيقة في بطون المؤلفات .[1]

• • •

وبعد هذه الصحبة الطويلة مع احمد بن محمد الرازي وأستاذه قاسم بن اصبغ نعود الى استيفاء الموضوع بذكر أهم المؤلفات التاريخية الاسبانية التي اعتمدت على المراجع العربية وتأثرت بها أو أُخذت عنها :

– **الحولية السيلوسية** Cronica Silense :

مؤلفها مستعرب اسباني من مدينة طليطلة عاش في القرن الثاني عشر الميلادي . وكان راهباً من رهبان دير سيلوس silos والى هذا الدير نسب التاريخ ، ولقد ضمن المؤلف كتابه كثيراً من الروايات والاساطير التي كانت متداولة في الأندلس على عصره مما يدل على انه سمعها او قرأها في اصولها العربية ، وقد عنى بابراز مآثر الملك الفونسو السادس وبصفة خاصة استيلائه على طليطلة في سنة ١٠٨٥ ، ولكنه لم يذكر شيئاً عن بطولة السيد المحارب El Cid Campeador ، وهو من معاصريه ، ويعتقد المؤرخون الاسبان المحدثون أن مؤلف هذه الحولية قد اعتمد اعتماداً كبيراً على كثير من المؤلفات التاريخية العربية ، ولكنهم لم يستطيعوا تحديد عناوينها .

---

(١) مؤنس : المرجع السابق ، ص ٥٥ .

Marfat.com

– حولية الطليطلي Cronica Toledano

أو De Rebus Hispaniae : Historia Gothica Arabum . Romanorum

مؤلف هذه الموسوعة التاريخية هو رودريجو جيمينيث دي رادا Rodrigo Jimenez de Rada (١١٧٠ – ١٢٤٧) أسقف مدينـــة طليطلة وكان هذا الرجل يتقن لغـــات كثيرة من بينهـــا اللغة العربية وساعده هذا على الافادة من المصـــادر العربية وكتـــابة القسم الاسلامي من كتابه على وجه أحسن بكثير مما فعل سابقوه من المؤرخين الاسبان وقد بدأ هذا القسم بالكلام عن سيرة الرسول عليه السلام وانتهى فيه عند أحداث سنة ١٢٤٣ ، ومما يلفت النظر ويؤكد رجوعه إلى المصـــادر العربية أنه استعمل في هذا القسم التـــاريخ الهجري لا الميلادي ، وكان أكثر اعـــتماده على تاريخ احمد بن محمد الرازي .(١)

– التاريخ الأول العامْ لاسبانيا Primera Cronica General de Espäna

وهـــذه هي الحولية التـــاريخية الكبرى التي أشرف على كتابتها باللغة القشتالية ملك اسبـــانيا الفونسو العاشر (العالم) في القرن الثـــالث عشر الميلادي ، وقد استـــعان على تأليفها بعدد من العلمـــاء المسلمين والمستعربين واليهود ، واعتمد هؤلاء على عدد كبير من المصـــادر العربية والبيزنطية (٢) واللاتينية وعلى جميـع الحوليات الاسبانية السابقة ولا سيما حولية الطليطلي سالفة الذكر .

---

(١) عن المراجع العربية التي استقى منها هذا المؤلف راجع :
C. Sanchez. Albornoz: La Cronica del Moro Rasis. Anales de la Universidal de Madrid, 1934, III. p. 250.

(٢) Dubler (Cesar): Fuentes Arabes & Bizantines en la Primera Cronica General; Vo. X. Romanica XII. p. 195.

Marfat.com

والدارس لهـذه الموسوعة يلاحظ أن التشابه يكاد يكون تاماً بينها وبـين بعض المصادر التاريخية العربية مثل كتاب : (البيان الواضح في العلم الفادح) للمؤرخ البلنسي أبي عبد الله محمـــد بن خلف الصدفي المعروف بابن علقمة المتوفي سنة ٥٠٩ (١١١٥م) ، وكتاب « الاكتفاء في أخبار الخلفاء » لأبي مروان عبد الملك بن الكردبوس الذي عاش في اواخر القرن السادس الهجري (١٢م) ، والمقـــارنة تدل بما لايدع مجالاً للشك على أن هذه الموسوعة الاسبانية التي أُلفت في القرن الثالث عشر قد نقلت أخباراً وروايات كثيرة عن هذين الكتـــابين [١] وبصفة خاصة الأخبـــار المتصلة بالسيد القبيطور Elcid Campeador وأحداث بلنسية في ذلك الوقت (٤٧٨ – ٤٩٥ ، ١٠٨٥ – ١١٠٢) .[٢]

وقد كان الناس إلى عهد قريب يحسبون أن السيد شخصية أسطورية إذ لم يكن قد عثر حتى أواسط القرن التـاسع عشر الميلادي على شيء يتصل بحياته وحروبه في المراجع التاريخية العربية التي طبعت أو درست حتى ذلك

---

(١) كتاب البيان الواضح لابن علقمة مفقود للأسف ، ولكن نقل عنه عدد من المؤرخين اللاحقين أمثال : ابن الكردبوس وابن عذارى وابن الابار وابن الخطيب ، أما كتاب الاكتفاء لابن الكردبوس فلا زال مخطوطاً ، وقد نشر القسم الخـاص بالاندلس منه الدكتور مختـــار العبادي في العدد الاخير من صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد الجاري طبعه الآن ، هذا ويمكن الرجوع الى حولية ألفونس العاشر لمقارنـــة الاجزاء المنقولة من الكتب العربية سالفة الذكر ، انظر :

Primera Cronica General de Espana (Ed. R. Menendez Pidal, T. 11. p. 560 - Madrid 1906).

(٢) انظر : Perez Bustamente: Compendio de Hist. de Espana, p. 194 - 195.

هذا وقد ظهرت بعد حولية ألفونسو العالم حوليات أخرى من نوعها وان اختلفت عنها ايجازاً واطناباً ، ولعل اهمها الحولية الثانية التي كتبت في القرن الرابع عشر (١٣٤٤ م) .
Segunda Cronica General (1344).

Marfat.com

التـــاريخ ، ثم عكف المستشرق دوزي على دراسة كثير من المخطوطات الأندلسيةالعربية وعثر على بعض النصوص المتصلة بسيرةالسيد والأحداثالتي جرت في بلنسية وشرق اسبانيـا في آواخر القرن الخامس الهجري (١٠م) وهي نصوص وردت في كتـــاب الذخيرة لابن بسام وكتاب « الاكتفاء في تاريخ الخلفاء لابن الكردبوس » ، وكتاب « الحلة السيراء » لابن الابار ونشر دوزي هذه النصوص وكتب بحثه القيم .

Le Cid d'Aprés des Nouveaux Documents

وعند ذلك بدأ المؤرخون يعيدون النظر في سيرة السيد ويُقارنون بين ما ورد في هذه النصوص وما جاء في الموسوعة او المدونة الكبرى لتـــاريخ اسبانيا ، واتضح لهم أن هذه المدونة قد نقلت عن المراجع العربية .

وجاء بعد دوزي المؤرخ الاسبـــاني منندث بيدال فأكد هذه الحقيقة ، وأتى بعده المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال فعثر في كتاب « البيان المغرب » لابن عذارى على نصوص طويلة جديدة تتصل بحياة السيد وحروبه منقولة عن مؤرخ بلنسي عاصر هذه الأحداث وهو محمد بن خلف علقمة [١] . (٤٢٨ = ١٠٣٦ — ١٠٣٧ — ٥٠٩ = ١١١٦) ، وكتب تاريخاً لمدينتـــه

---

(١) انظر عن ترجمة ابن علقمة (الضبي : بغية الملتمس ، مدريد ١٨٨٧ ، رقم ٥١٤) ، (حاجي خليفة ، كشف الظنون) وعن الموضوع كله راجع ايضاً ، (ابن عذارى ، البيان المغرب الجزء الرابع ، نشر ليفي بروفنسال) و (حسين مؤنس، السيد القبيطور وعلاقاته بالمسلمين ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث ، العدد الأول ، مايو ١٩٥٠ ، ص ٣٧-٨٧) و Dozy : le Cid d'Aprés des Nouveanx Textes. dans Recherches Sur l'Histoire de l'Espagne pendant le Moyen - âge ; 1881 . و (Ramon Menedez Pidal : La Espana del Cid . Madrid, 1948) و (بروفنسال ، استيلاء السيد على بلنسية في المصادر الاسلامية والأصل العربي للمدونة العامة لتاريخ اسبانيا ، وقد نشر هذا الفصل أصلاً باللغة الاسبانية في مجلة الاندلس ثم ترجمه الدكتور عبد العزيز سالم في كتابه (الاسلام في المغرب والاندلس) .

Marfat.com

وهو بلنسية وفصل فيـــه الحديث عن حروب السيـــد التي انتهت باستيلائه على المدينـــة ، وهو الكتاب المعنون « بالبيان الواضح في العلم الفادح » ، ومطابقة هذه النصوص بنصوص مدونة التاريخ الاسباني العام تبين بما لا يدع مجالاً للشك أن مؤلفي المدونة قد نقلوا سيرة السيد عن تاريخ أبن علقمة نقلاً يكاد يكون حرفياً ، وليس هناك مثل أقوى أو أوضح من هـذا المثل لبيان تأثير الدراســات التاريخية العربية في المؤلفات التاريخيـة الاسبـــانية .

ولم تقتصر موسوعة ألفونسو العاشر على الأحداث التاريخية بل ضمت بين دفتيها كذلك عدداً من الملاحم الشعرية المتصلة بتاريخ اسبانيا ، ومن اهمها ملحمة ابنـاء لارا السبعـة Les infantes de lara التي ألفت في القرن الحادي عشر ، وملحمة السيد القنبيطور التي أُلفت في القرن الثاني عشر .

هذه الملاحم كتبت اصلاً في نصوص شعرية باللغة اللاتينية العـــامية (الرومانسية) ، ثم احالها الفونسو في موسوعته الى نثر قشتالي ، وخضعت بعد ذلك لكثير من التهذيب حتى القرن الخامس عشر .

وأحداث هذه الملامح تتصل إتصالاً وثيقاً بتاريخ العرب في اسبانيا ، ففي ملحمة ابناء لارا نجد أن البطل اسمه مدرع – وهو أسم عربي – ولد لأب مسيحي وأم مسلمة وتزعم القصة أنها كانت أختاً للمنصور بن أبي عامر ، وفي الملحمة يرثي لارا أبناءه السبعة الذين قتلهم المنصور .

أمّا ملحمة السيد المبارز El Cid فإنه واضح من اسمهـا ومن أحداثها وألفاظها أنها كتبت على نمط السير العربية ، ولا يبدو هذا غريباً إذا عرفنا أن مؤلف هذه الملحمة رجل مستعرب من مدينة ســـالم Medinaceli في شمال اسبانيا .

Marfat.com

وشبيه بهـاتين الملـحمتين ملحمة زايـدة المسلمة La More Zaida الـتي زعمت الأسطورة انهـــا كانت ابنة للمعتمد بن عباد ملك أشبيلية فأهداها لألفونسو السادس الذي تزوجها وأنجب منها ابنه سانشو ، وقد درس ليفي بروفنسال هذه القصة وأثبت — معتمداً على نص أورده ابن عذارى في البيان المغرب —، ان زايدة كانت في الحقيقة كنة للمعتمد أي زوجة لابنه المأمون ، وانها لم تهد اليه ، بل وقعت في الأسر ، وحملت إلى قشتالة حيث تنصرت وتزوجها الفونسو السادس .[1]

– التاريخ العـام General Estoria O Estoria univérsal

وهذا الكتاب ينسب كذلك إلى الفونسو العالم، ويتضمن تاريخاً عاماً للعالم منذ بدء الخليقة وتاريخ الأنبياء والشعوب القديمة ، ويلاحظ أنه استمد معلوماته عن تاريخ الأغريق والرومان والهنود والمصريين القدماء عن المؤرخين العرب، بل لقد نص صراحة على أن ما ذكره عن مصر منقول عن كتاب « المسالك والممالك للجغرافي العربي أبي عبيد البكري [2].

---

(١) أنظر ، Levi - Provonsal ; Islam d'Occident . P. L. 1.39 - 148 و (ليفي بروفنسال ، زايدة المسلمة زوجة الفونسو السادس وولدها الامير دون سانشو ، مقال ظهر في مجلة Hespéris ، ج ١٨ ، ١٩٣٤ ص ١ — ٨ وص ٢٠٠ / ٢٠١ ، والترجمة العربية لهذا المقال في كتاب « الاسلام في المغرب والاندلس » ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص (١٥١ — ١٦٤) و (لطفي عبد البديع ، الاسلام في اسبانيا ، ص ١٤٦) .

(٢) Alfonso el Sabio ; General Estoria (ed : Selatinde p. XI ; . & Menedez Pelaye : Origenes de la Novelu. I. p. 72 - 73 .

Marfat.com

٢ ــ صقلية وايطاليا

•

فتح الأغالبة جزيرة صقلية في أوائل القرن الثالث الهجري ، وظلت تابعة لهم طوال عهد حكمهم في افريقية (تونس) ، ثم دانت بالولاء للفاطميين بعد أن قضوا على دولة الأغالبة في السنوات الأخيرة من القرن الثالث الهجري (٩م) ، وقد انتشر العرب في الجزيرة خلال هذين العهدين، وانتشر معهم الدين الاسلامي والثقافة العربية ، وبنيت المساجد الكثيرة في مدن الجزيرة المختلفة .

وقد عاصرت حركة الاسترداد المسيحي في صقلية مثيلتها في اسبانيا ، ففي أواخر القرن الخامس الهجري (١١ م) ، نجح النورمان في الاستيلاء على الجزيرة ، ولكنهم اتبعوا سياسة مخالفة ، فلم يقضوا على العرب ، وانما قربوهم اليهم ، وعينوا منهم الكثيرين في الوظائف الحكومية ، واحتضنوا الثقافة العربية ، وأسبغوا الهبات والعطايا على علماء العرب .

وخير مثال على هذا ما فعله الملك روجر الثاني حين استدعى إلى بلاطه العالم الجغرافي العربي الكبير الشريف أبا عبد الله محمد بن محمد الادريسي (٤٩٣ —

Marfat.com

٥٦٠ / ١١٠٠ — ١١٦٤ — ١١٦٥) ، وكلفه بعمل كرة أرضية وخريطة للعالم فعملها وألف كتابه المشهور « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » لوصف هذه الخريطة ، ويقول الصفدي ان الادريسي عندما وصل إلى بلده أكرم الملك نزله ، وبالغ في تعظيمه ورتب له كفـــاية لا تكون إلا للملوك ، وكان يجيء إليه راكباً بغلة ، فإذا صار عنده تنحى عن مجلسه ، فيأتي ، فيجلسان معاً (١).

وقد كان معظم هؤلاء الملوك النورمان يتقنون اللغة العربية ، ويقرأون الكتب العلمية المختلفة بهذه اللغة ، وان كان غليالم الثاني قـــد أسهم في الحروب الصليبية إسهـاماً ايجابياً حين أرسل أُسطوله لمهاجمة الاسكندرية في سنة ٥٦٩ على عهد صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فإن هذه الحملة منيت بالفشل الذريع ولم يلبث آل هوهنشتـاوفن أن جنحوا إلى السلم وبـــدأوا عهداً من العلاقات الودية بينهم وبين سلاطين مصر من الأيوبيـــين والمماليك ، وكانت هـــذه العلاقـات أقوى ما تكون في عهدي الامبراطورين فردريك الثاني ومنفرد .

وقد تبدو علاقات الصداقة والود التي بدأت بين الأمبراطور فردريك الثـــاني ومعاصره السلطان المسلم الملك الكامل محمد الأيوبي غريبة في عصر اشتد فيه العداء بين ملوك اوروبا المسيحيين وملوك الشرق المسلمين وكثرت

---

(١) الصفدي ، الوافي بالوفيـــات (النص المنقول في المكتبة الصقلية ، ص ٦٥٨) هذا وللتعريف بالشريف الادريسي وكتابه وحياته وجهوده ، أنظر ، الفصل القيم الذي كتبه عنه (حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٦٥ وما بعدها) و (أماري ، المكتبة الصقلية ، وتاريخ المسلمين في صقلية باللغة الايطالية) ، وعن صقلية في عصر النورمان راجـع ، (الرحـلة لابن جبير) و E. A. Freman: History of Sicily . London 1891. 1894. F. Chalendon : La Domination Normande en Italie et Sicile C. H. Haskins : The Normans in European 1009 - 1094. Paris. 1907. History. - Boston· New york. 1915.
و (احسان عباس ، العرب في صقلية ، القاهرة ١٩٥٩) و (احمد توفيق المدني ، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، الجزائر ١٣٦٥ هـ)

Marfat.com

فيه الحروب الصليبية ، غير ان شخصيتي الملكين والظروف السيـــاسية التي كانت تحيط بكل منهما كان لها الأثر القوي في اقامة هذه العلاقات وتوثيقها .

كان الملك الكامل والامبراطور فردريك الثـاني بشخصيتهما وثقافتهـــما وعقليتهما يسبقان العصر الذي عاشـــا فيه ، فقد كان العصر عصر تزمت وتعصب ديني وحروب متصلة ، أما همـــا فقد كانت تغلب عليهما شخصية الحاكم المثقف الإداري الذي يعني بالإصلاح ونشر العلم وحرية الفكر وإنشـاء المدارس والمعاهد اكثر من عنايته بالحروب .

وكان كل منهما لا يلجأ إلى السيف إذا استطاع أن يحل مشكلاته بالسياسة والطرق السلمية [1] والحقيقة أن الكامـــل كان — كما وصفه كانتوروفتز — صورة شرقية من الامبراطور ، إن لم يكن اقرب الى الصحة أن نقول أن الامـــبراطور كان صورة غربيـــة من السلطان الملك الـــكامل :

He was an oriental edition of the Emperor. unless indeed, it is more correct to call the Emperor an occidental edition of the Sultan [2] .

وليس المجال هنا مجـــال تتبع هذه العلاقات السلمية في صورها المختلفة ، ولكن يكفي أن نشير إلى الحمـــلة الصليبية العجيبة — وهي الحملة المعروفة بالسادسة . التي خرج بها فردريك الثاني وقوامها ٦٠٠ جندي ولم تُرق فيهـــا قطرة واحدة من الدماء ، وإنما انتهت بمعاهدة سلمية بينه وبين الملك الكامل سمح له فيها باسترداد بيت المقدس وبالسماح للمسيحيين بالحج في أمن وسلام ،

---

(١) انظر : (جمال الدين الشيال : جمـــال الدين بن واصل وكتابه مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ص ٨٧ ، رسالة دكتورا ، لم تطبع بعد) .

(٢) Kantorowiez : Frederick the Second. p. 186 و Op. cit. p. 185

Marfat.com

وقد توطدت خلال زيارة الأمبراطور للأرض المقدسة علاقـات الصداقة بينه وبين الملك الكامل وكثيرين من كبار رجال دولته وعلمائها .

وقد خلف العرب وراءهم — بعد أن أسلموا الجزيرة للنورمان — تراثاً ضخماً من الحضارة العربية التي ظلوا يقيمون صرحها قرابة قرون ثلاثة ، كما تركوا في الجزيرة دون شك — في خزانات الكتب وبين ايدي من بقي من العرب بالجزيرة وفي جنوبي ايطاليا — عدداً كبيراً من المؤلفـــات العربية في مختلف ألوان العلوم والآداب ، ولهذا لا نعجب إذا وجدنا بلاط فردريك الثاني يعج بالعديد من العلماء الذين يعملون على نقل التراث الفكري العربي والإفادة منه.

وقد ذكرنا من قبل كيف نشطت حركة الترجمة عن العربية في طليطلة من مدن اسبانيا خلال القرن الثاني عشر الميلادي .

ومنذ ذلك الوقت بدأ الاتصال العلمي بين اسبانيا وايطاليا وصقلية ، ففي طليطلة كان يعمل ويطلب العلم رجـــال من شمـــال ايطاليا مثل جيراد الكريـــوني Gerard of Cremona جنباً إلى جنب مع رجال من اسبانيا من أمثال دومينيكوس جنديسالنيوس Dominicus Gundissalinus وقرب نهاية هذا القرن كانت الترجمات الأولى لابن رشد قد بـــدأت تنتشر خارج اسبانيا ومعها مؤلفات ارسطو في العلوم الطبيعية وما وراء الطبيعة ، إلى أن كانت سنة ١٢٠٩ حيث اصدر البابا أنوسنت الثالث أوامره بمنع استعمال هذه الترجمات .

وكان المركز الثاني بعد طليطلة — وإن كان أقل أهمية منه — لجمع هذه المؤلفات هو البلاط النورماني في بالرمو ، وهو المعبر الثاني الذي انتقلت عن طريقه الثقافة العربية الإسلامية إلى اوروبا .

في هذا المركز قامت مدرسة للترجمة عن العربية تشبه مثيلتها في طليطلة ، وفي هذا المركز كان يعمل رجال من امثال يوجين البالرمي Eugene of

Marfat.com

Palermo وأمير البحر هنري ارستيبوس Admiral Henry Aristippus ولكن كل ما نعرفه أن الترجمة الوحيدة التي ظهرت في هذا المركز هي ترجمة كتاب البصريات لبطليموس Optic of Ptolemy .

ومـــا من شك أن فردريك الثاني كان قد تعرف في صبـاه وخلال صلات الود بينه وبـين العرب في بالرمو وفي الشرق على مؤلفـــات العرب العربية والفلسفية .

وكان فردريك الثاني يعمـــل في كل مناسبة على تدعيم قواعد النهضة العلمية التي امتاز بهـا عصره ، ولهذا نراه – بعد عودته من الشرق – يبدأ عهداً من النشاط الفكري سرعان مـا ارتفعت نتائجه إلى مستوى النتائج التي حققتها مدرسة طليطلة .

وبـــدأ الأمبراطور يستعين بعدد كبير من العلماء المحيطين بـــه لنقل العلوم العربية الـتي شغف بها إلى المغرب الاوربي ، وأغلب الظن أنه تقابل لأول مرة مـع ابرز هؤلاء العلمـــاء وهو ميخائيل سكوت Michael Scot (وهو واحد من تلاميذ مدرسة طليطلة) اثناء الرحلة التي قام بهـــا إلى بولونيا Bologna .

ومعلوماتنا عن هذا العالم الاسكتلندي قليلة ، ومنها نعرف أنه درس في طليطلة وأسهم في ترجمـــة بعض الكتب الرياضية هناك في سنة ١٢١٧ ، وبعد ثلاث سنوات انتقل إلى بولونيا ، وأثناء إقامته بهـا دارت مراسلات بينه وبين البلاط البابوي الذي زكاه ليكون أسقفاً لكنتربري ، ومن المحتمل أنه تعرَّف على الامبراطور فردريك الثاني في الوقت الذي عقد فيه هذا الأخير أواصر الصداقة مع العالم الرياضي « ليونارد البيزاني Leonardo of Pise ». كان « سكوت » مترجماً ومنجماً وفيلسوفاً ورياضياً ومتكهناً ، ولهـذا

Marfat.com

اعتُـبر في نظر معاصريه مشعوذاً، وقد وضع «دانتي» هذا السيد الساحر في الجحيم ، وقدمه هناك كمتنبىء زائف وقد التوت رأسه إلى الخلف معلقة على كتفيه ، وقد شاعت في القرن الثالث عشر قصص عجيبة كثيرة عن العلاقات بينه وبين الامبراطور .

وترجـم سكوت كتباً كثيرة ، ونسبت إليه فيما بعد كتب لم يؤلفها ولم يترجمها ، ويعنينا هنا أن نشير إلى أنه ترجم عن اللغة العربية بعض كتب أرسطو مع شروح ابن رشد عليها، كما ترجم ما جمعه ابن سينا من كتاب الحيوان لأرسطو تحت عنوان « كتـــاب الحيوان Liber Animalium » أو Historiae Animalium ، وقد أهدى كل أعماله العلمية هذه إلى الامبراطور فردريك الثاني ، ويرجع اليه الفضل انه كان أول من قدم مـا كتبه أرسطو عن الحيوان إلى أوربا (١) .

وخلف « سكوت » في مـــكانته لدى فردريك الثاني وفي بلاطه عالِم مشرقي يتقن العربية هـــو السيد تيودور Master Theodore وكان يلقب بفيلسوف البلاط وقد ترجم منتخبات من كتاب « سر الأسرار » المنسوب لأرسطو، وإذا كان « سكوت » يمثل روح الأندلس والصلة العلمية بين طليطلة وبالرمو ، فإن تيودور يمثل روح المشرق ، فقد ولد في انطاكية ودرس في بغداد والموصل ، ثم أوفده السلطان الملك الـكامل محمد إلى الامبراطور في سنة ١٢٣٦ ، فعينه منجماً خاصـــاً وكاتباً لديوان الانشاء في « بالرمو » ليشرف بنفسه على تحرير مراســلات الامبراطور باللغة العربية إلى مـلوك العرب (٢) ، ثم أُرسل بعد ذلك سفيراً إلى تونس .

---

(١) وقد ترجمت عن العربية مؤلفات أخرى لأرسطو في بلاط فردريك ، منهـا كتاب « الأخلاق » وكتاب « الخطابة » وكتاب « المعادن » وكتاب « السياسة » .

(٢) يبدو أن العـالم « تيودور » كان متعدد الثقافة والمعرفة ، فقد ذكر أنه كلف الى جانب مهامه الرسمية هذه بأن يرصد طالع السلطان ، وأن يعد له بعض المأكولات والحلوى الشرقية ، وكان لاعجابه بها يهدي بعضاً منها الى أمراء دولته .

Marfat.com

هذه هي كل المعلومات القليلة التي وصلتنا عن تيودور ، وتشير المراجع كذلك إلى عالمين آخرين عاشا في بلاط فردريك ولقب كل منهما بفيلسوف البلاط ، وهما « حنا البالرمي Master John of Palermo » و « دومنيك الاسباني Master Dominicus The Spaniard » .

هؤلاء جميعاً — وقد يكون هناك غيرهم — هم أقطاب الفكر في بلاط فردريك الثاني وقادة مدرسة الترجمة فيه ، وهم يمثلون حلقات الاتصال الثقافي بين « بالرمو » والنهضة العلمية وحركة الترجمة في مدرسة طليلة بالمغرب من ناحية ، والذروة العلمية التي كان يضج بها بلاط الأيوبيين في مصر والشام بالمشرق من ناحية أخرى .

وكان كل هؤلاء العلماء سالفي الذكر على صلات وثيقة بليوناردو البيزاني Leonardo of Pisa العالم الرياضي الذي كان أول من أدخل الأرقام العربية إلى غرب أوربا .

كل هذا يثبت مدى شغف « فردريك » بعلوم الرياضة والفلك وعنايته بالمشتغلين بها ، وتشير المراجع إلى أن أحد السلاطين المسلمين أهدى إليه مرة أسطرلاباً ، فنال إعجابه الشديد ، وكان يعتبره أعز شيء في الوجود ، كما أهدى إليه الملك الكامل — فيما أهداه — كتاباً في علم الفلك، هو « كتاب القضاة التسعة The Book of The Nine Judges » ، وقد جمع ميخائيل سكوت في كتابيه : « المقدمة Liber Introductorius » و « الخاص Liber Particularis » دائرة معارف ضخمة في المعلومات الفلكية والتنجيمية المعروفة على عهده أخذ معظم مادتها عن المراجع العربية .

وكانت تعترض الامبراطور فردريك مشكلات علمية كثيرة رياضية أو فلسفية أو دينية ، ولا يجد من العلماء المحيطين به من يقدم اليه الحلول الشافية

Marfat.com

لهذه المشكلات، فكان يرسلها إلى أصدقائه من ملوك المسلمين وأمرائهم ويطلب منهم أن يعرضوها على من لديهم من علماء للإجابة عليها .

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك المسائل الرياضية التي أرسلها فردريك إلى الكامل، والتي أجاب عليها العالم الرياضي المصري «علم الدين قيصر الاسفوني» ذكر هذا الادفوي في ترجمته لعلم الدين في كتابه « الطالع السعيد » قال : « ولما وردت أسئلة الانبرور صاحب صقلية في أنواع الحكمة والرياضيات على الملك الكامل كان هو — علم الدين — المعين للاجابة عنها ، فانه كان المشار إليه في ذلك » (١) .

كذلك كان فردريك قد أرسل مجموعة من الأسئلة الفلسفية إلى الفيلسوف المتصوف الأندلسي ابن سبعين ، فأرسل إليه الإجابة عليها، وهذه الأسئلة التي عرفت بالمسائل الصقلية هي :

---

(١) هو علم الدين أبو القاسم قيصر بن عبد الغني بن مسافر بن حسان بن عبد الرحمن الاسفوني (نسبة الى اسفون قرية بالصعيد) يعرف بالمعاسيف ، وكان عارفاً بالقراءات فقيهاً حنفي المذهب ، ولعل هذا ما دفع كانتروفتز الى القول بأن الكامل أرسل الى فردريك عالماً بالرياضيات يسمى بالحنفي ، وليس في المراجع العربية ما يشير الى ارساله الى صقلية وانما بها ما يفيد أنه هو الذي أجاب على المسائل الرياضية التي أرسلها فردريك للكامل. وقد درس علم الدين بالقاهرة ، وبالموصل على الشيخ كمال الدين بن يونس ، فقرأ عليه أكثر من أربعين كتاباً في الموسيقى ، واتصل بملك حماة الأيوبي وعمل له كرة صور فيها الكواكب المرصودة ، وأنشأ له طاحوناً على نهر العاصي وبنى له أبراجاً وتحيل فيها بحيل هندسية ، وتولى نص الدواوين بالقاهرة ، ولد بأسفون سنة ٥٦٠ وتوفي بدمشق سنة ٦٤٩ ، انظر ترجمته في (ابن واصل : مفرج الكروب ، المخطوطة) و (أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ص ١٨٦) و (ابن خلكان : وفيات الأعيان — في ترجمة كمال الدين بن يونس) و (الادفوي : الطالع السعيد ، ص ٢٥٩ — ٢٦٠) و (قدري طوقان : تراث العرب العلمي ، القاهرة ١٩٥٤ ص ٣٥٣) و (ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ص ٢٥٠) و (سارطون : تاريخ العلم) .

Marfat.com

« المسألة الأولى عن العالم : هل هو قديم أو حديث ؟

« والثانية عن العلم الإلهي : ما هو المقصود منه ، ومـــا مقدماته الضرورية إن كانت له مقدمات ؟

« والثالثة عن المقولات : أي شيء هي ، وكيف يتصرف بها في أجناس العلوم حتى يتم عددها ، وعددها عشرة فهل يمكن أن تكون أقل ، وهـل يمكن أن تكون أكثر ، وما البرهان على ذلك ؟

« والمسألة الرابعة عن النفس : ما الدليل على بقائها ، ومـا طبيعتها ، ويتفرع من هذه المسألة الأخيرة سؤال عن: أين خالف الاسكندر الافروديسي أرسطوطاليس ؟ »[1] .

وقد اتصل فردريك الثاني اتصالاً شخصياً بعدد من علماء المسلمين أثناء زيارته للشام ، كما تلقى عدداً آخر منهم سفراء في بلاطه ، فـكان يصحبه أثناء إقامته في الشام القاضي شمس الدين قاضي العسكر، ودارت بين الرجلين محاورات علمية وتاريخية كثيرة وطريفة ، وقد روى ابن واصل في « مفرج الكروب » عن شمس الدين نفسه طرفاً من هذه المحاورات[2] .

---

(١) نشر كتاب « الكلام على المسائل الصقلية » لابن سبعين في بيروت سنة ١٩٤١ وقام على نشره العالم التركي شرف الدين يلتقايا ، وانظر عن ابن سبعين : (المقري : نفـح الطيب، ج ١ ص ٤١٦ – ٤١٧) و (ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، القاهرة ١٩٥١ ج ١ ص ٥١٧) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ص ٢٦١) و (رسائل ابن سبعين ، نشر الدكتور عبد الرحمن بدوي ، المقدمة ، القاهرة ١٩٥٦) .

(٢) انظـر : (مفرج الـكروب ، مخطوطـة باريس ، ص ١٢٢ ب – ١٢٣ أ) و (Kantorowicz Op. Cit. p. 192) وفي المرجع الأخير فصل ممتع (١٦٧ - ٢١١) عن رحلة فردريك الى بيت المقدس وما حدث له أثناء اقامته بها ، وأثر هذه الحملة على ثقافته وحياته بعد ذلك .

Marfat.com

كما أرسل الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ رسولاً من قبل الملك الكامل إلى فردريك ، وعقدت بين الرجلين صداقة وثيقة منذ ذلك الحين وظل فردريك يراسل فخرالدين بعد ذلك وينقل إليه في رسائله الكثير من تفاصيل أخباره وأخبار دولته [1] .

ولما ولي الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد عرش مصر ، توثقت العلاقات بينه وبين فردريك كذلك ، وتبادل الملكان الرسل ، وتذكر المراجع العربية أن الصالح أرسل لصديقه فردريك سفارة على رأسها عالم آخر هو الشيخ سراج الدين الأرموي [2] . وأقام سراج الدين مدة في صقلية ، وألف لفردريك كتاباً في المنطق .

ولم يكن منفريد بن فردريك الثاني أقل عناية من أبيه بالثقافة العربية ، بل حذا حذوه وسار على نهجه ، وعني مثله عناية خاصة بالعلوم الرياضية والطبيعية ، واتصلت حركة الترجمة عن العربية في عهده، وقد عاصر سلطان مصر المملوك الظاهر ركن الدين بيبرس ، واستؤنفت في عهدهما أواصر الود والصداقة استمراراً لما بدىء به في العصر الأيوبي ، وقد أهدى بيبرس اليه فيما أهداه كتاب « القضاة التسعة » في علم الفلك .

وأرسل بيبرس في أوائل حكمه في رمضان سنة ٦٥٩ سفارة إلى منفريد

---

(١) أورد محمد بن علي بن نظيف المؤرخ الحموي رسالتين هامتين من هذه الرسائل في كتابه (التاريخ المنصوري ، نشر بطرس غربازنيوريج ، موسكو ١٩٦٠) .

(٢) هو أبو الثناء محمود بن أبي بكر بن أحمد الارموي ، ولد سنة ٥٩٤ ، ودرس في الموصل واتصل بملوك بني أيوب وخاصة الكامل والصالح ، ورحل الى آسيا الصغرى ، وتولى القضاء بها ، وتوفي بقونية سنة ٦٨٢ ، وله مؤلفات كثيرة في العلوم الدينية والعقلية وخاصة المنطق . انظر : السبكي (طبقات الشافعية ، ج ٥ ص ١٥٥) .
و (Brockelman : G. L. A. Supp. I. A 845)

Marfat.com

على رأسها المؤرخ والعالم الكبير « جمال الدين بن واصل » ، وقد ذكر ابن واصل طرفاً من أخبار هذه السفارة في كتابه « مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » قال : « توجهت رسولاً إلى منفريد من السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس — رحمه الله — في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وستمائة ، فأقمت عنده مكرماً بمدينة من مدائن ابنولية في البر الطويل المتصل ببر الأندلس يقال لها « برلتا Barletta » ، واجتمعت به فوجدته متميزاً محباً للعلوم العقلية ، يحفظ عشر مقالات من كتاب اقليدس في الهندسة ، وبالقرب من البلدة التي كنت بها نازلاً مدينة تسمى « لوجارة Lucara » أهلها كلهم مسلمون من أهل جزيرة صقلية ، وتقام الجمعة فيها ، ويعلن فيها بشعائر الإسلام ، وهي على هذه الصفة من عهد أبيه الامبراطور ، وكان قد شرع في بناء دار علم بها ليشتغل فيها بجميع أنواع العلوم النظرية ، وأكثر أصحابه الذين يتولون أموره الخاصة مسلمون ، ويعلن في معسكره بالأذان والصلاة » [1] . وقد ألف ابن واصل أثناء إقامته في إيطاليا رسالة في المنطق سماها « الرسالة الانبرورية » وأهداها إلى منفريد .

وأُعجب منفريد بابن واصل إعجاباً كبيراً وبثقافته المنوعة ، فكان يدعوه إلى مجالسه الخاصة حيث كانت تدور المناقشات العلمية المختلفة بين الحاضرين ، وبديهي أن منفريد وابن واصل كانا يساهمان في هذه المناقشات بأوفر نصيب ، فقد روى « الصفدي » في ترجمته لابن واصل أن منفريد قال مرة لجمال الدين : « يا قاضي أنا ما عندي ما أسألك عنه ، لا فقه ولا عربية ، وسأله ثلاثين سؤالاً في علم المناظر (البصريات) ، فبات تلك الليلة وصبحه بالجواب عنها ، فصلب الانبرور على وجهه وقال : هكذا يكون قسيس المسلمين ، لأن القاضي لم يكن معه كتب في تلك السفرة ، وإنما أجابه عن

---

(١) ابن واصل : (مفرج الكروب ، مخطوطة باريس ، ص ١٢٢ أ) وانظر كذلك (جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الاسلامية، جـ ٢ ص ٢٠٦ - ٢١٤ ، الاسكندرية ١٩٦٧).

Marfat.com

ظهر قلب »[1] .

هذه لمحات عن النشاط العلمي الذي ساد في المركز الثاني من مراكز التقاء الثقافة العربية بالعقل الأوربي في بلاط ملوك « الوهنشتا » وفن النورمان في صقلية وجنوب إيطاليا ، وهذه إشارات سريعة إلى مدرسة الترجمة الثانية في بالرمو واعلامها والجهود التي بذلوها لترجمة العلوم العربية إلى اللغة اللاتينية ، وقد أشاد « اسين بالتيوس » بهذه الجهود في كتابه « الاسلام والكوميديا الإلهية » ، فقال ان بالرمو كانت في النصف الأول من القرن الثالث عشر وإبان حكم الامبراطور فردريك الثاني أشبه ما تكون ببلاط الحكام المسلمين ، ولهذا « كان البابوات وملوك المسيحية الآخرون يرفعون صيحات الغضب ضد النقيصة التي يتسم بها بلاط هذا الامبراطور ، ذلك الحاكم الذي كان يعتبر — رغم مكانته المدنية الكبرى — مسيحياً بالاسم فقط ، هذا الراعي للآداب والمعرفة كوَّن مجموعة فريدة من المخطوطات العربية في جامعة نابلي التي أنشأها سنة ١٢٢٤ ، وأمر بترجمة «أرسطو» و« ابن رشد » ، وأرسل نسخاً من هذه الترجمات إلى باريس وبولونيا ، وكان المسيحيون يتبارون ويتساجلون مع شعراء التروبادور العرب المتجمعين في بلاطه» [2] .

ويتضح من هذا العرض الذي قدمناه أن الترجمة في هذا المركز — كما كانت في اسبانيا — اتجهت في معظمها إلى العلوم الرياضية والفلكية والفلسفية مما يبعثنا إلى التساؤل : وأين علم التاريخ وما نصيبه ؟

والحقيقة أننا لم نجد شواهد مباشرة تدل على جهود بذلت في البلاط

---

(١) الصفدي : نكت الهميان في نكت العميان ، ص ٢٥١ .

(٢) M. Asin Palacios: Islam and the Divine Comedy p. 241-242 (an English Translation from Spanish by H. Sunderland. London 1926).

Marfat.com

النورماندي لترجمة المؤلفات التاريخية العربية ، ولكننا نستطيع أن نقول استنتاجاً ـ وإلى أن يوفق الباحثون للكشف عن الشواهد المادية التي ننشدها ـ إن علم التاريخ العربي نال في صقلية وإيطاليا ما نالته العلوم العربية الأخرى من دراسة واهتمام ، ويؤيد استنتاجنا ما افترضناه في مقدمة هذا البحث من أن العلماء العرب كانوا في جملتهم وتبعاً لتقاليد عصرهم موسوعيين ، ولم يركنوا إلى التخصص ، والجغرافي الشريف الادريسي كان ولا شك واسع المعرفة بالتاريخ ، وكتابه « نزهة المشتاق » يتضمن الكثير من الحقائق التاريخية ، ومترجمو أرسطو وابن رشد ما كانوا يستطيعون فهم النصوص وترجمتها دون الإلمام بتاريخ كل من الفيلسوفين وعصرهما وما ساد العصرين من حركات فكرية ، والمناقشات التي دارت بين فردريك من ناحية والأمير فخر الدين والقاضي شمس الدين من ناحية أخرى تناولت الكثير من الموضوعات التاريخية والنظريات المتصلة بعلم السياسة وفن الحكم ، وابن واصل سفير بيبرس إلى منفريد واحد من كبار المؤرخين العرب ، وعندما وصل إلى إيطاليا كان قد فرغ من تأليف كتابين من كتبه التاريخية وهما :

« التاريخ الصالحي » و « نظم الدرر في الحوادث والسير » وأوشك أن يفرغ من كتابه التاريخي الضخم « مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » وهو أكبر موسوعة عربية أُلفت في تاريخ دولة بني أيوب وظهور دولة المماليك . ولا شك أن شهرته كمؤرخ كانت قد سبقته إلى بلاط منفريد ، ولا يستبعد أن يكون الحوار الذي دار بين ابن واصل والعلماء في حضرة منفريد قد شمل علم التاريخ فيما شمل من علوم أخرى ، كالمنطق والفلك وعلم البصريات ، وهذه المجموعة الكبيرة من المخطوطات العربية التي كدّ فردريك في جمعها وضمها إلى جامعة نابلي ، هل من المعقول أن تخلو من المؤلفات التاريخية ؟ !

Marfat.com

وعلى يـد من تعلم فردريك ومنفريد اللغة العربية ، وهندسة إقليدس والمشاكل الفلسفية والدينية التي أرسل فردريك يستفتي فيها ابن سبعين ؟

وهل يمكن أن يتعمق في هذه المسائل الفلسفية دون أن يـلم ويلم معه المحيطون بـه بالحقيقة التاريخية للدين الإسلامي والجدل القائم بين الديانتين المسيحية والإسلامية ؟ وهذه الجاليات من تجار جنوة والبندقية وبيزا وفلورنسا الذين كانوا يترددون على موانىء مصر والشام ويقيمون في الفنادق الخاصة بهم في هذه الموانىء مدداً تطول أو تقصر ألم يحمـلوا معهم شيئاً من الأفـكار العربية وعدداً من المؤلفات التاريخية العربية ؟

والعلماء الأوربيون الذين تعلموا في طليطلة وشاركوا في حركة الترجمة بها أو الايطاليون الذين ترددوا على اسبانيا ألم يقرأوا شيئاً من الكتب التاريخية العربية في أصولها أو ترجماتها ؟

وما لنا نذهب بعيداً ، وهذا دانتي اليجييري الفلورنسي الأصل قـد أثبت البحث العلمي أخيراً انه تأثر تأثراً واضحاً بكتاب « رسالة الغفران » لأبي العـلاء المعري ، وبمـا كتبه الفيلسوف الصوفي الأندلسي ابن عربي عن المعراج .

والفضل في هذا الكشف يرجع إلى المستشرق الاسباني « أسن بلاثيوس » فقد استطـاع نتيجة لبحوثه العلمية في التراث العربي الاسباني أن يثبت أن كتاب « تاريخ العرب Historia Arabum » الذي ألّفه الأسقف رودريجو خيمينيز دو رادا الطليطـلي Rodrigo Jimenez de Rada يحتوي على سيرة للنبي محمد عليه السلام ، وفيها ترجمة لقصة المعراج منقولة عن كتاب من كتب علم الحديث العربية .

وعن تاريخ العرب هذا نقلت القصة إلى تاريخ لاحق وهو المدونة العامة

Marfat.com

في تاريخ اسبانيا Cronica General – التي تكلمنا عنها سابقاً – والتي أمر بتأليفها الملك ألفونسو العاشر الحكيم في المدة من ١٢٦٠ إلى ١٢٦٨ .

وفي أواخر القرن الثالث عشر وضع « القديس بطرس باسكال St. Peter Paschal » مؤلفاً آخر في التاريخ أثناء أسره في غرناطة بين سنتي ١٢٩٧ و ١٣٠٠ ، سماه Impunacion de la Seta de Mohamad ، وكان هذا الرجل مربياً لولي عهد مملكة أرجوان ، وقد زار روما ، وكان موضع إعجاب البابا نيكولاس الرابع ، وفي طريق عودته ألقى بعض المحاضرات في جامعة باريس [١] ، وفي كتابه يقتبس القديس بطرس من القرآن ومن الحديث ومن كتاب يسميه « Miragi » الذي هو بلا شك المعراج ، ويعطي في وصفه صورة قريبة الشبه لما قدمه دانتي في مؤلفه « الكوميديا » ، فالواضح من هذه النصوص والمؤلفات أن قصة المعراج كانت – مع نهاية القرن الثالث عشر – قد أصبحت متداولة في الأوساط العلمية في اسبانيا، ومن المحتمل جداً أن تكون قد انتقلت منها إلى بلاد غرب أوربا ومن بينها ايطاليا .

ولم يقنع « أسن بلاثيوس » بهذا الحل القائم على الفروض ، بل دعمه بشاهد قوي آخر ، فقد أثبت أن « دانتي » درس على عالم فلورنسي موسوعي اسمه « برونيتو لاتيني Prunetto Latini » كان يشغل منصباً كبيراً من مناصب الحكومة ، وقد تمتع « دانتي » حين كان شاعراً ناشئاً برعاية أستاذه وكان يعمل دائماً بنصائحه ، والجدير بالملاحظة أن برونيتو كان شغفاً بالثقافة العربية ، واستزاد منها أثناء سفارته لدى بلاط ألفونسو العاشر الحكيم في الوقت الذي كان نشاط حركة الترجمة قد بلغ أوجه في هذا البلاط، وفي الوقت

---

(١) Aziz S. Atiya : Crusade, Commerce and Culture. Bloomington 1962 p. 259.

Marfat.com

الذي كانت المدونة العامة للتاريخ الاسباني تؤلف بالاستعانة بكثير من المراجع التاريخية العربية .

وقد كتب برونيتو قصيدتيه المعروفتين « Tesoretto » و « Tesoro » بعد عودته من اسبانيا ، وهما تعكسان في وضوح أثر الثقافة العربية ، فهل يستبعد بعد ذلك ما قاله « أسن بلاثيوس » من أن الأستاذ نقل إلى التلميذ بعض ما قبسه من الثقافة العربية وأنه دفعه إلى العناية بهذه الثقافة ؟

إن التشابه الواضح بين الخطة والمنهج والأفكار التي قدمها دانتي في « الكوميديا » وقصة « المعراج » كما كتبها « محيي الدين بن عربي » تؤيد هذه الفروض جميعاً (١) .

وما سيرة محمد ، وما قصة المعراج ، وما تاريخ العرب في اسبانيا إلا تاريخ من التاريخ ، وقد ناقش المؤرخ المصري القدير الدكتور حسن عثمان — الذي أوقف ربع قرن من حياته لدراسة دانتي وترجمة الكوميديا — موضوع تأثر الكوميديا بالتراث التاريخي والفكر الإسلامي مناقشة عالمة مركزة في المقدمة القيّمة التي قدم بها للترجمة العربية لجحيم دانتي ، فأكد ما سبق أن قلناه ، وأضاف اليه كثيراً من رصيد معلوماته الضخم عن تاريخ إيطاليا وأوربا في العصور الوسطى وعصر النهضة ، فقال :

« ولقد انتقل هذا التراث الإسلامي عن عالم ما بعد الحياة ودنيا

---

(١) يؤيد هذا الرأي ويؤكده المستشرق الأمريكي المعاصر جوستاف جروبناوم ، فيقول في كتابه « Medieval Islam » ص ٤٣٥ من الترجمة العربية لعبد العزيز توفيق جاويد التي سماها (حضارة الاسلام ، القاهرة ١٩٥٦) : « ولا يكاد انسان يشك في فضل اصحاب الرؤى الحالمين من المسلمين على دانتي بعد أن ترجمت آراؤهم وذاعت الى حد ما » .

Marfat.com

المغامرات والعجائب إلى أوربا عن عدة طرق : عن طريق الحروب الصليبية التي أذكت الحركة التجـارية والثقافية بين الشرق والغرب ، وعن طريق الحضارة العربية في الأندلس ، الذي كان كعبة العلوم والفنون في أوربا ، وكذلك عن طريق أثر العرب في صقلية وجنوبي ايطاليا ، وظلت صقلية في عهد النورمان وفي عهد الجرمان — وعلى الأخص زمن الامبراطور فردريك — مركزاً للعـلم والمعرفة ، ودرس بعض الرهبان المسيحيين اللغة والثقافة العربية ، وعرف العالم الأوربي آراء المسلمين في عالم ما بعد الحياة منذ القرن التاسع الميلادي .

« انتشرت هذه المعرفة في اسبانيا وفرنسا وايطاليا وانجلترا ، ودرست أقوال المسلمين في هذا الصدد ، وعلى الأخص آراء ابن رشد وابن سينا ، وترجم القرآن الكريم لأول مرة ترجمة ملخصة الى اللغة اللاتينية في النصف الأول من القرن الثاني عشر ، وعرفت صور من الاسراء والمعراج الاسلامي بلغات مختلفة في اوربا منذ القرن الثالث عشر .

« وظلت هذه الصور تتواتر في كتابات العلماء ورجال الدين والأدباء في اوربا حتى أواخر القرن الخامس عشر ، ومثال ذلك كتابات « رودريجو اكزيمنيز » أسقف طليطلة ، في النصف الأول من القرن الثالث عشر ، والرحلة الخيالية التي كتبها « ريموندو لوليو » الفطلوني في النصف الثاني من القرن الثالث عشر عن البعث والعقاب والثواب ونعيم الفردوس في الاسلام . والتاريخ الاسباني العام الذي أمر بكتابته الفونسو الحكيم ملك قشتالة ، وما كتبه « ريكولدو دابنينو » الراهب الدومنيكاني الفلورنسي عن العرب في مطلع القرن الرابع عشر ، وقصيدة « فاتزيودلي اوبرتي » بالايطالية عن معراج النبي محمد عليه الصلاة والسلام بعد منتصف القرن الرابع عشر ، وكذلك ما دونه الأب « روبرتو كاراتسولو » عن ذلك بالايطالية في أواخر القرن الخامس عشر » .

Marfat.com

ثم أشار حسن عثمان بعد ذلك الى البحث الذي كتبه « أسن بلاثيوس » ونظريته في تأثر دانتي بالتراث التاريخي والفكري الاندلسي بما لا يخرج عما ذكرناه آنفاً ، ولكنه أضاف جديداً بإشارته الى عالم ايطالي آخر عالج هذا الموضوع بعد العالم الاسباني « أسن بلاثيوس » وأيده في نظريته ، ومن المفيد أن نأتي هنا بما قاله حسن عثمان في هذا الصدد ففيه براهين جديدة ، قال :

« وفي سنة ١٩٤٩ أصدر « انريكو تشيرولي » المستشرق الايطالي وسفير بلاده في طهران مؤلفاً بعنوان : « كتاب المعراج ومسألة المصادر العربية — الاسبانية للكوميديا الالهية » ، ونشر تشيرولي في كتابه الترجمة اللاتينية والفرنسية القديمة لاحدى صور المعراج الاسلامي .

وتلخص قصة هذه الترجمة في أن الفونسو العاشر ملك قشتالة أمر بترجمة هذه الصورة من صور المعراج الاسلامي عن العربية إلى القشتالية، وقام بالترجمة ابراهيم الحكيم الطبيب اليهودي سنة ١٢٦٤ ، ثم طلب الفونسو إلى « بونافنتورا داسبينا » الايطالي ترجمتها من القشتالية إلى اللاتينية والفرنسية القديمة في نفس السنة ، لاذاعتها فيما وراء الحدود الاسبانية ، وكان ذلك متمشياً مع سياسة الملك الفونسو في تشجيع العلوم والفنون .

وبذلك أيد تشيرولي فكرة بلاثيوس في احتمال نقل برونيتو لاتيني لدانتي بعض المعلومات عن الاسراء والمعراج الاسلامي » .

ويستطرد حسن عثمان بعد ذلك فيدلي برأيه مؤيداً نظرية بلاثيوس وتشيرولي فيقول :

« كانت الفرصة إذاً سانحة أمام دانتي لكي يلمَّ بعلم ما بعد الحياة عند المسلمين بطريق غير مباشر مما كان معروفاً لدى علماء الغرب في العصر الذي

Marfat.com

عاش فيه ، ومن المحتمل أنه اطلع على الترجمة اللاتينية والفرنسية للمعراج الاسلامي المشار إليه ، ولا يبعد أنه استمع إلى بعض الرهبان الذين كانوا على علم برأي الاسلام وعلماء المسلمين عن عالم الآخرة » .

وإن كان حسن عثمان يؤيد تأثر دانتي بالقرآن وآراء المفسرين وآراء بعض المتصوفة كابن عربي ، فإنه ينكر تأثره برسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، فيقول : « والصلة ضعيفة بين دانتي وأبي العلاء المعري في « رسالة الغفران » لاختلاف الطريقة والمضمون العام في كل منهما [1] » .

(١) دانتي اليجييري : الكوميديا الالهية ـ الجحيم ـ ترجمة حسن عثمان ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٥٨ - ٦١ .

Marfat.com

Marfat.com

٣ ــ الشرق الأدنى

إبّان الحروب الصليبية

●

رصدنا في الفصلين السابقين بعض المؤثرات التي تركها التراث التاريخي العربي في الفكر الأوربي عبر المركزين الأوربيين : اسبانيا ، وصقلية وايطاليا ، ولكننا نلاحظ أنه على الرغم من نشاط حركة جمة في هذين المركزين فإن الإفادة من هذه العلوم كانت مقصورة على أوساط معينة من المثقفين ورجال الدين ، ولم يستتبع نقل هذه العلوم انتشار اللغة العربية أو معرفة جماهير الناس للاسلام وللتاريخ العربي الاسلامي ، ولهذا فإن الشعوب الأوربيـة لم تكد تستمع إلى نداء البابا اربان الثاني في مجمع كليرمونت (١٠٩٥) حتى آمنوا بكل ما قال ، وحتى أسرع الكثيرون منهم إلى حمل السلاح والصليب ، وبذلك بدأت الحروب الصليبية التي تعتبر بحق حلقة هامة من حلقات العلاقات بين الشرق والغرب .

وعلى الرغم من كثرة المعارك التي سادت عصر الحروب الصليبية فإن العلاقات العدائية لم تكن وحدها هي المسيطرة على الطرفين المتقاتلين ، بل

Marfat.com

قامت بينهما علاقات ود وصداقة كثيرة ، فإن حَمَلَة الصليب الوافدين من الغرب الاوربي كانوا أقليــة في الامارات التي أنشأوها في سواحل الشام وفلسطين ، فــكان من الضروري أن يعتمدوا على السكان الأصليين لهذه البلاد في الأعمال الزراعية وفي بناء الكنائس والحصون والقلاع ، وفي معظم شؤون الحياة الأخرى .

وقد قامت علاقات الود واقيمت مباريات الصيد في كثير من الاحيان بين امراء الصليبيين وجيرانهم من الأمراء المسلمين ، كما كانت التجارة عاملاً آخر من عوامل التقارب بين الفريقين ، وخاصة في فترات الهدنة والسلام بعيداً عن ميادين الحرب والقتال .

وكان عدد النساء الفرنجيات اللائي صحبن المقاتلين من الصليبيين قليلاً ، فكثر زواج هؤلاء من المواطنات في بلاد الساحل وفلسطين من المسيحيات والأرمنيات بل ومن نفر قليل من الأسيرات اللائي تنصرن وعمدن ، وفعل المسلمون ما فعله الصليبيون ، بل لقد كان الأمر بالنسبة لهم أيسر وأسهل لانعدام العائق الديني ، فتزوجوا من الأسيرات [1] من أجناس اوربا المختلفة.

وعقدت أحلاف واتفاقات كثيرة بين بعض الأمراء المسيحيين والمسلمين ، وخاصة عندما كان الأمير من هذا الفريق أو ذاك يجد نفسه في حــاجة إلى معين يقف إلى جانبه ضد عدو له من قومه .

ولهذا لم تكد الحرب الصليبية الأولى تنتهي حتى كانت السحب التي تفصل

---

(١) هناك صور مشرقة وطريفة لهذا الزواج في قصتي « الصعيدي وزوجتـه الافرنجية » و « مريم الزنارية » من قصص ألف ليلة وليلة ، والشواهد كثيرة على علاقات الود والصداقة ومباريات المبارزة والصلات التجارية... الخ تجدها منتثرة في المراجع التاريخية وكتب التراجم والرحلات وبصفة خاصة : « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » لابن شداد ، و « الفتح القسي» للعماد الأصفهاني، وكتاب «الاعتبار» لأسامة بن منقذ و« الرحلة » لابن جبير... الخ.

Marfat.com

بين الفريقين قد انقشعت ، وبدأ كل فريق يفهم الفريق الآخر على حقيقته ، وامحت شيئاً فشيئاً الصورة القديمة التي كانت في مخيلة الصليبيين عن المسلمين ، فلم يعودوا يرونهم جنوداً جبناء أو غلاظ القلوب أو كفرة عباد أوثان ، بل شهدوا من شجاعتهم في القتال ومن ورعهم في الصلاة ومن سماحتهم في معاملة أهل الأديان الأخرى ما أطلق السنتهم بالإعجاب والتقدير ، وخير شاهد على هذا ما رواه أرنولد لوبك في حولياته Arnold of Lubeck's Ghronicle على لسان الأمير الصليبي بوركارد Burchard .

كان هـذا الأمير قد أرسل في سفارته عن فردريك بربروسا إلى صلاح الدين ، ثم عاد يروي لاخوانه وصفاً حقيقياً ومنصفاً لمعتقدات المسلمين ، فأشاد بسماحتهم ، وذكر أن الحرية الدينية مكفولة لديهم ، وأن لكل فرد الحق في أن يؤمن بالدين الذي يعتنقه ، واعترف الأمير أن معظم المسلمين لا يتزوجون إلا زوجة واحدة ، وروى الكثير عن ورع المسلمين وأنهم يؤمنون باله واحد هو خالق كل شيء ، وما محمد عندهم إلا رسول الله ونبيه (١) .

وبعد الحملة الصليبية الثالثة ارتفعت مكانة صلاح الدين في الغرب ، وأصبح موضع إعجابهم وتبجيلهم لما أظهره من نبل وكرم وسماحة عند استعادته لبيت المقدس تختلف كل الاختلاف عمّا أظهره الصليبيون من عنف وقسوة ووحشية عند استيلائهم على هذه المدينة في سنة ١٠٩٩ .

وعاد من الجند الصليبيين إلى اوربا من عـاد ، وأطال الإقامة منهم في الشرق من أطال ، واستقر ألوف منهم وألوف في الإمارات اللاتينية التي أنشأوها بسواحل الشام واتخذوها موطناً ومقر ملك ودار إقامة .

وحمل العائدون معهم إلى مواطنيهـم في اوربا صوراً عن معارك القتال

---

(١) Munro: The Western Attitude towords Islam. p. 338

Marfat.com

وعن العالم العربي الاسلامي : بلاده وأهله وعاداته وأخلاقه ومعتقداته ، أما الذين أطالوا الاقامة فكانوا يتراسلون مع زوجاتهم وأهليهم وأصدقائهم ويضمنون رسائلهم صوراً أخرى من مشاهداتهم وتجاريبهم .

أما الذين استوطنوا الامارت اللاتينية في سواحل الشام فقد كان لزاماً عليهم أن ينشئوا حكومات تدير هذه الامارات، وقد أنشأوها على نمط جديد فيه قبس من النظم التي عرفوها في أوطانهم وقبس من النظم التي وجدوها في الشرق ، وخاصة أن الامارات التي اقتطعوها لم تخلص لهم وحدها ، بل بقي فيها وفي مدنها عدد من المواطنين الأصليين — مسلمين ومسيحيين — ممن آثروا البقاء في ديارهم ، ومن هؤلاء فقهاء وعلماء ومؤرخون ، بقيت لهم بعض مساجدهم وكنائسهم وأديرتهم يقيمون فيها شعائر دينهم ، وخزائن كتبهم يفرغون فيها إلى قراءاتهم ودراساتهم .

وكان من الطبيعي أن يحاول كل فريق التعرف على الفريق الآخر : حاضره وماضيه، وقد أسهب المؤرخون العرب في وصف المعارك الحربية الصليبية وما اكتنفها من أحداث وما اتصل بها من معاهدات ومهادنات ، ولكنهم لم يحاولوا التعمق إلى قلب الإمارات اللاتينية ليدرسوا نظم الحكم في هذه الإمارات ، أو أحوال المجتمع الفرنجي الحديث عهد بالبلاد ، ولم يحاولوا كذلك — لبعد المسافة — أن يتعرفوا على هذه الشعوب الغربية التي اقتحمت عليهم أوطانهم، وعلى دولها ونظمها ومجتمعاتها وتاريخها .

والمحاولات التي بذلها المؤرخون العرب في هذين الميدانين من ميادين البحث التاريخي قليلة، ففي الميدان الأول لدينا إشارة إلى كتاب واحد هام وطريف ألفه مؤرخ حلبي بعد وصول الحملة الصليبية الأولى ، والكتاب فقد للأسف الشديد ولكن عنوانه يدل على أنه كان يتضمن معلومات قيمة جداً عن الفرنج الوافدين من اوربا ، وقد أشار إلى هذا الكتاب ومؤلفه ابن ميسر أحد مؤرخي مصر في القرن الثالث عشر ، فقد قال في حوادث سنة ٥٢٠ هـ.

Marfat.com

« وفيها قدم إلى مصر الأمير الرئيس حمدان بن عبد الرحيم مصنف « سيرة الافرنج الخارجين إلى بلاد الاسلام في هذه السنين » برسالة من حلب »[1] .

ونستطيع أن نضيف إلى هذا الكتاب الشذرات القليلة التي ضمنها أسامة ابن منقذ كتابه « الاعتبار » والتي تحدث فيها عن بعض عادات الفرنج وأخلاقهم ونظمهم ، وعن علاقات الصداقة التي قامت بينه وبين نفر من أمراء الصليبيين .

أما الميدان الثاني وهو ما عرفه المؤرخون العرب عن دول أوربا وشعوبها وملوكها وتاريخها فإن حصيلتهم فيها قليلة وتوجد متناثرة في بعض المؤلفات التي صنفها مؤرخو العصر الصليبي كابن شداد وأبي شامة ، وقد أورد بعضهم معلومات تفصيلية قيمة عن ملوك أوربا كما فعل محمد بن علي بن نظيف حين أورد في كتابه « التاريخ المنصوري » صوراً لبعض الخطابات المرسلة من الامبراطور فردريك الثاني إلى الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ يروي له فيها طرفاً من الأحداث السياسية في دولته ، وكما فعل جمال الدين بن واصل حين قدم في كتابه « مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » بعض المعلومات عن « لويس التاسع» ملك فرنسا ، وعن الامبراطور « منفرد بن فردريك الثاني » وعن مدينة « برلتا » الإيطالية التي نزل فيها حين أرسل سفيراً عن الظاهر بيبرس إلى منفرد، كما قدم لنا في كتابه هذا معلومات نادرة وقيمة عن أسرة « هوهنشتاوفن » وعن الجالية الإسلامية التي كانت تعيش في مدينة «لوجارة» بجنوب إيطاليا .

ونستطيع أن نضيف إلى هذين المؤرخين مؤرخاً ثالثاً هو « القلقشندي » صاحب « صبح الأعشى »،فقد أورد في الجزء الخامس من كتابه قوائم بأسماء وألقاب ملوك أوربا الذين يتراسل معهم سلاطين مصر .

---

(١) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٧٠ .

Marfat.com

وكذلك كان الحال عند الفريق الآخر من المؤرخين الأوربيين،فقد وصلتنا عنهم حصيلة غنية من الكتابات والمؤلفـــات التاريخية ، عنوا فيها بوصف حروبهم ومواقعهم في الشرق ، واتخذوا في كتابتهم أساليب مختلفة ، فمنهم من ضمن أوصافه رسائل كان يرسلها إلى أهله وأسرته وأصدقائه ، ومنهم مَن كتب مذكراته الشخصية ، ومنهم من ألّف كتباً للتأريخ لحمـلة من الحملات أو لملك من الملوك أو لحقبة من حقب هذا العصر الصليبي .

ومن أوائل هذه الكتب وأوثقها كتاب « أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقـدس [1] Gesta Francorum et Aliorum Hiersolymitanorum » ومؤلفه مجهول من محاربي الحملة الصليبية الأولى ، وقد اعتمد على هذا الكتاب كثيرون من مؤرخي الحروب الصليبية الأوربيين الذين أتوا بعده .

وكبير هؤلاء المؤرخين دون منازع هو «وليم الصوري William of Tyre » (١١٣٠ — ١١٨٤) وهو أشدهم صلة بموضوعنا لأنه ولد في بيت المقدس ، وعاش معظم حياته في المشرق ، ولأنه تعلم اللغة العربية وقرأ المؤلفات التاريخية العربية وتأثر بها وأفاد منها عند وضع مؤلفه .

ولد وليم في بيت المقدس حوالي سنة ١١٣٠ من أبوين ينتميان إلى أُسرة فرنسية اشترك رجالها في الحملة الصليبية الأولى ، وتلقى علومه الأولى في فلسطين ودرس اللغتين العربية واليونانية ، ثم أرسله ذووه إلى باريس حيث أتم دراسته ، وعاد إلى بيت المقدس حوالي سنة ١١٦٢ ، فاتصل منذ ذلك الوقت بخدمة الملك عموري الأول ، ولم يلبث أن عهد إليه بالإشراف على تربية أولاده وخاصة ولي عهده بلدوين . ثم أرسله في سنة ١١٦٨ سفيراً عنه إلى بيزنطة ، ولا مجال هنا للإسهاب في ترجمة حياة وليم وذكر الوظائف الدينية والسياسية الكبرى التي شغلها والتي كان لها الفضل الأكبر في تكوين

---

(١) انظر الترجمة العربية لهذا الكتاب ، للدكتور حسن حبشي ، القاهرة ١٩٥٨ .

Marfat.com

شخصيته ونضجه الفكري ، ولكن يعنينا هنا أن نشير إلى مؤلفاته التاريخية .

كان عموري الأول (أملويك) ملك بيت المقدس رجلاً طموحاً ، وقد انتهز فرصة ضعف الخلافة الفاطمية والصراع الذي قام بين الوزيرين شاور وضرغام ، فاتجه بآماله نحو مصر يريد أن يضمها إلى ملكه في فلسطين ، وتسابقت جيوشه مع جيوش نور الدين محمود بن زنكي نحو مصر ثلاث مرات ولكنه منيَ في الأخيرة بالفشل ، واستقر الأمر في مصر لأسد الدين شيركوه وابن اخيه يوسف صلاح الدين ، وانتهت صحوة الموت وقضي على الدولة الفاطمية ، وقامت على ضفاف النيل دولة بني أيوب .

وسط هذا الصراع وهذا النصر المتأرجح بين قوى عموري وقوى نور الدين سرت نشوة الطموح في نفس عموري فأراد أن يؤرخ لنفسه ولدولته ولجهود الصليبيين وأراد في نفس الوقت أن يتعرف على تاريخ هؤلاء المسلمين الذين يحيطون به ، إنها الرغبة في التعرف على الماضي والرغبة في الخلود بين صفحات التاريخ .

ووجد عموري في صديقه القس المثقف وليم ضالته فكلفه بكتابة هذا التاريخ ، وبدأ وليم العمل سنة ١١٦٧ ولم ينته منه إلا في سنة ١١٨٤ وقد عهد إليه خلال هذه السنوات الأربع عشرة بمهام سياسية ودينية كثيرة ، فأرسل سفيراً إلى امبراطور بيزنطة لمفاوضته في أمر القيام بحملة بيزنطية صليبية مشتركة على مصر ، ورقي أسقفاً لمدينة صور ، وعين مستشاراً للمملكة بعد وفاة عموري وتولية الطفل بلدوين العرش وسافر إلى روما على رأس وفد ديني استجابة لطلب البابا ، كل هذه المهام أتاحت له الفرصة للاطلاع على كثير من أسرار الدولة ووثائقها والاتصال بالعديد من رجالات الحكم والحرب في دولته وغيرها من الدول ، وقد أفاد من كل هذه الوثائق والمراجع والاتصالات فائدة كبرى عند وضع مؤلفاته التاريخية .

Marfat.com

والمعروف أن وليم قام أصلاً بتأليف كتب تاريخية ثلاثة ، كان الأول منها كتاب « أعمال الملك عموري Gesta Amalrici Regis » وكان الكتاب الثاني هو « أعمال مملكة بيت المقدس Gesta Hiersolymitanorum » وكان الكتاب الثالث هو « أعمال الأمراء الشرقيين Gesta Orientalium principum ».

وقد اعتمد « وليم » اعتماداً كبيراً في الكتاب الأول على المعلومات التي جمعها من روايات القواد الذين بقوا من رجال الحملة الصليبية الأولى ومن القواد الذين شاركوا في حملات عموري الثلاث على مصر ، وقد تضمن هذا الكتاب وصفاً رائعاً للقصر والبلاط الفاطميين كما رآهما قواد الصليبيين وسفراء عموري لدى الخليفة الفاطمي العاضد، وهو وصف لا نجد له شبيهاً في المراجع العربية، كما أورد تفصيلات كثيرة عن موقع بابليون (الفسطاط) وتاريخهـــا وعن دلتا النيل وفروعه ، وعن تجارة الهند المارة عبر بحر القلزم إلى السويس .

بدأ « وليم » إذن بالتأريخ لعموري والإشادة بجهوده وأمجاده ، ثم بدا له أن يعود إلى الوراء قليلاً ليؤرخ لمملكة بيت المقدس منذ بدايتها ، فأقبـل « وليم » على وضع كتابه الثاني الذي سمـاه « أعمال مملكة بيت المقدس » وفيه اعتمد على ما صنفه المؤرخون الصليبيون الذين سبقوه ، مثل « أعمال الفرنجة » المجهول المؤلف ، ومؤلفات « ريموند الأجيلي » و « ولتر المستشار » و « فولشير الشارتري »، ولكنه يمتاز عليهم بالحاسة التاريخية ، فهو لا يأخذ أقوالهم كأنها حقائق ثابتة، بل يناقش ويحلل ويقارن، ويحاول قدر استطاعته الوصول إلى الحقيقة التاريخية .

ورأى « عموري » أن الصورة التاريخية لا تكتمل إلا إذا تعرف على تاريخ الامارات والدول الإسلامية المحيطة بمملكته ، ولهذا طلب من « وليم » أن يضع كتاباً جديداً في تاريخ الحـكام المسلمين وإنجازاتهم منذ عهد الرسول عليه السلام، وهنا كان لا بُدَّ لوليم أن يرجع إلى المصادر التاريخية العربية ، وقد ساعده على إنجاز مهمته معرفته باللغة العربية ، وقد وضع « عموري »

Marfat.com

بين يدي ولـــيم مجموعة كبيرة من المراجع والمؤلفات التاريخية العربية ، بعضها ممـــا بقي في مملكة بيت المقدس بعد استيلاء الصليبيين عليهـا ، وبعضها – فيما يقال – كان من مجموعة كتب الفارس العربي « أسامة بن منقذ » التي صادرها الملك « بلدوين الثالث » بعد أن غرقت السفينة التي كانت تحملها من مصر على شاطىء مدينة عكا [1] .

وقد صرح وليم نفسه في كتابه انه استعان بالمراجع العربية وأفاد منها ، ولكنه لم يشر إلا إلى اسم مـؤرخ عربي واحد هو « سعيد بن البطريق » المشهور « بأوتيخيوس أو أوتيشيوس » (٢٦٣ – ٣٢٨) صاحب كتـاب « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق في معرفة التواريخ من عهد آدم إلى سني الهجرة »[2] .

يقول وليم في مقدمة كتابه « تاريخ الأعمـال التي تمت في بلاد مـــا وراء البحار » :

« ... كما أننا قد ألفنا كتاباً آخر في التاريخ بناء على رغبة الملك الذي أمدنا بالوثائق العربية اللازمة ، وكان مصدرنا الرئيسي في هذا المصنف كتاب بطريرك الاسكندرية المبجل « سعيد بن البطريق » ، وكتابنا هذا يبدأ من

---

(١) خرجت السفينة من مصر في طريقها الى الشام تحمل نفراً من أسرة أسامة بن منقذ وأتباعه وأربعة آلاف مجلد عربي فاخر – هي مكتبته الخاصة – وقدراً من ذخائره ، ولكن السفينة غرقت قرب شواطىء عكا فاستولى الملك بلدوين الثالث على ما بها ، واستهان أسامة بما فقد، ولكنه تألم الألم كله لفقد الكتب وعبر عن حسرته في كتابه (الاعتبار، ص ٣٤ – ٣٥) بقوله : « فان ذهابها حزازة في نفسي ما عشت » .

(٢) قام على طبع هذا الكتاب لأول مرة مع ترجمة لاتينية يوحنا سلداني وادوار بوكوك في اوكسفورد ١٦٥٨/٥٩ ثم طبع النص العربي ومعه ذيل يحيى بن سعيد بمطبعة الآبـاء اليسوعيين في بيروت ١٩٠٦/١٩، انظر : (سركيس معجم المطبوعات العربية) ، وراجع ترجمة سعيد بن البطريق في (ابن أبي أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ج ٢ ص ٨٦) .

Marfat.com

عهد النبي محمد ﷺ ، ويمتد خلال خمسمائة وسبعين سنة حتى عامنا الحاضر – وهو ١١٨٤ بعد ميلاد المسيح – » .

ولم يكن غريباً أن يكون معظم اعتماد وليم – وهو أسقف مسيحي – على مؤلف عربي مسيحي مثله ، بل لعـــل هذا كان هو الأمر الطبيعي ، فسعيد بن البطريق مصري من الفسطاط، وقد عين في سنة ٣٢١ بطريركاً على الاسكندرية ، وفيها ألّف كتابه وبها مات ، ولعل رجال الدين من مسيحيي الشرق هم الذين قدموا هذا الكتاب لوليم وزكوه لديه ، وقد ذيل على هذا المؤلّف مؤرخ آخر هو « يحيى بن سعيد » ، وضمن الذيل الحوادث التاريخية في العـــالم الإسلامي من سنة ٣٢٨ – وهي سنة وفاة ابن البطريق – إلى سنة ٤٢٥ هـ .

وإن كان وليم قد صرّح باعتماده على كتاب سعيد بن البطريق فانه قد رجـــع – دون شك – إلى كثير من المراجع التاريخية العربية الأخرى ، وخاصة عندما تولى أسقفية صـــور ، فقد كانت هـــذه المدينة لا تزال تضم – وهي تحت حكم الصليبيين – عدداً من المساجد التي يتردد عليها المسلمون وعلماؤهم ، ولا يستبعد أن يكون وليم قد اتصل بهؤلاء العلماء للحصول على مزيد من المعلومات وهو يؤلف كتابه في تاريخ الأمراء المسلمين .

ولكن هذا الكتاب فقد للأسف الشديد، ولم يصلنا منه إلا شذرات قليلة ضمنها وليم مؤلفه الذي وصلنا والذي جمع فيه الكتابين الأول والثاني في « أعمال مملكة بيت المقدس وأعمال الملك عموري » ، والذي أعطاه عنوانه الأخير المعروف : « تاريخ الأعمال التي تمت في بلاد مـــا وراء البحر = Historia Rerum in partibus Transmarinis Gestarum » .

Marfat.com

« فوليم الصوري »[1] يعتبر من أوائل المؤرخين الصليبيين الذين تأثروا بالدراسات التاريخية العربية ومن أوائل مَن عرَّفوا المجتمع الأوربي بالاسلام ودوله وشعوبه وحكامه وتاريخه .

وخير ما يختتم به هذا الفصل أن ننقل هنا مـا قاله الأستاذ « هرنشو Hearnshaw » عن مكانة علم التاريخ والمؤرخين عند المسلمين والأوربيين عند لقائهم الأول في ميادين الحروب الصليبية : « فكما أن بلعام خرج ليدعو على بني إسرائيل فإذا به يدعو لهم ، فكذلك الصليبيون خرجوا من ديارهم لقتال المسلمين ، فإذا هم جلوس عند أقدامهم يأخذون عنهم أفانين العلم والمعرفة ، لقد بهت أشباه الهمج من مقاتلة الصليبيين عندما رأوا « الكفار » الذين كانوا ينكرون من الناحية اللاهوتية ديانتهم ، على حضارة دنيوية ترجح حضارتهم رجحاناً لا تصح معه المقارنة بينهما .

ففي مجال التأريخ الذي نحن بصدد الكلام عليه وحده نجد « المسعودي » العربي يعرض في كتابـــه « مروج الذهب » عرض خبير ماهر ، تاريخ واثنوغرافية غرب آسيا وشمال افريقية وشرق أوربا، ونجد « ابن خلـكان » الدمشقي (١٢١١ — ١٢٨٢) يصنف معجماً في التراجم التاريخية جديراً بأن يقرن إلى « تراجم فلوطرخ » ، ثم نجـــد شيخ مؤرخي العرب

---

(١) عن ترجمة وليم الصوري ومؤلفاته التاريخية راجع : (السيد الباز العريني : مؤرخو الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٦٢ ص ٩٩ - ١٥٢) و (نظير حسان سعداوي : ثلاثة من مؤرخي الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٥٧) و (عمر كمال توفيق : وليم الصوري المؤرخ ، بحث معد للنشر بمجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية) ،

J. L. La Monte: Some Problems in Crusading Historiography. Speculum XV. 1940.
(William of Tyre: A History of Deeds done beyond the Sea. Trans. E. A. Babcock & A. C. Krey. New York. 1943)

Marfat.com

« عبد الرحمن بن خلدون التونسي » (١٣٣٢ – ١٤٠٦) قد كتب فيما كتب مقدمة لتاريخ عـام بلغت من سعة الإحاطة وصحة النظر وعمق الفلسفة ما جعلها مصداقاً لما قال الأستاذ « فلنت Flint » في حق ذلك العالم التونسي الكبير من أنه « واضع علم التاريخ ... الخ »[1] .

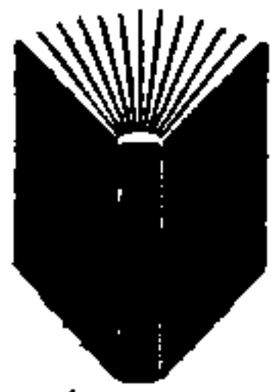

(١) هرنشو : علم التاريخ ، ترجمة عبد الحميد العبادي ، القاهرة ١٩٣٧، ص ٤٧ – ٥٠ .

Marfat.com

بعد الحروب الصليبية

●

كان وليم الصوري مثلنا الواضح للدلالة على تأثر المؤرخين الصليبيين بالدراسات والمراجع التاريخية العربية ، ولم نشأ أن نضيف شواهد أُخرى من المؤرخين الذين أتوا بعده من أمثال بادريورن مؤرخ الحملة الصليبية الخامسة ، أو جوانفيل مؤرخ حملة لويس التاسع المعروفة بالسابعة، وغيرهم كثيرين رغم ما تضمنته كتبهم من أوصاف للبلاد الاسلامية والشعوب العربية ، فإن ما أوردوه من معلومات يعتمد في معظمه على المشاهدة أو الرواية الشفهية .

ولكننا نحب أن نشير هنا إلى المقارنة التي عقدها برنارد لويس [1] في بحث له أخير بين هيرودوت ووليم الصوري ، وملخص رأيه :

أن هيرودوت كتب عن الأعمال العظيمة التي قام بها الإغريق والمتبربرون على السواء، ثم انتقل بدراساته إلى بلاد بعيدة وإلى أزمنة سحيقة ،وقد أفاد

---

(١) Bernard Lewis : The Use by Muslim Historians of non Muslim Sources. (In Historians of the Middle East. Edit. B. Lewis and P. M Holt, London 1962) p. 180.

Marfat.com

في التأريخ لها من كتابات الشرقيين ومن رحلاته ومشاهداته الشخصية في أرض المشرق .

وبعد نحو خمسة عشر قرناً كتب مؤرخ اوربي آخر هو وليم الصوري تاريخاً للدول الاسلامية ، واستقى معلوماته كذلك من مصادر شرقية ، ولكنه كان خيراً من سلفه هيرودوت لأنه قرأ بنفسه هذه المؤلفات في لغتها الأصلية العربية .

ومع ما اكتسبه هيرودوت من مكانة أضفت عليه لقب «أبو التاريخ» فإنه لم يحظَ بتقدير المؤرخين القدامى ، بل كان معظمهم يؤثرون الاقتداء بـ « ثيوسيديد Thucydides » ويعنون بصفة خاصة بأعمال مواطنيهم ومعاصريهم .

وكذلك قنع المؤرخون الأوربيون في العصور الوسطى بانتهاج نهج هؤلاء المؤرخين القدامى ، وليس من قبيل المصادفة أن نجد كتاب وليم الصوري الذي أرّخ فيه لأعمال الصليبيين في الشرق :

« Historia Rerum in partibus transmarinis gestarum »

ينتشر بين الناس ويقبل عليه القراء ، ويترجم إلى اللغة الفرنسية ، في حين أن كتابه الآخر عن أعمال أُمراء المسلمين :

« Gesta Orientalum Principum »

لم تبق منه — فيما نعلم حتى الآن — نسخة خطية واحدة ، ولم تصلنا منه إلا الشذرات القليلة التي ضمنها كتابه الأول .

أراد لويس بهذا الرأي أن يؤكد أن المؤرخين الاوربيين إلى قبيل عصر النهضة كانوا يقصرون اهتمامهم على أنفسهم وتاريخهم ، وقلما كانوا يهتمون بتاريخ البلاد والشعوب الأخرى .

وعاد من الأرض المقدسة المحاربون والحجاج والرحالة ونفر من التجار

Marfat.com

يحملون معهم صوراً مما شاهدوا ، ولكنها كانت في معظمها ملونة بألوان من خيالهم أو ميولهم الخاصة .

فمن الآراء التي سادت بين مسيحيي الغرب مدة طويلة أن المسلمين كانوا يعبدون محمداً كإله كما كانوا يتعبدون لآلهة وأصنام أُخرى ، هذه الآراء كانت تشيع وتتردد في كتابات بعض الصليبيين وآرائهم ، ويشير مونرو في بحثه عن « اتجاهات الغرب نحو الإسلام » إلى أن المؤلف المجهول لكتاب « أعمال الفرنجة Gesta Francorum » ذكر أن « كربوغا » كان يقسم « بمحمد وكل الآلهة » ، وقد نقل هذه الرواية عنه واستشهد بها بعد ذلك كثير من المؤرخين اللاحقين في مؤلفاتهم التاريخية .

وانتهت مرحلة من مراحل النضال الصليبي الحربي بعد مرور قرنين من الزمان بطرد آخر جنود الصليبيين من عكا في سنة ١٢٩١ ، وخبت الحماسة الدينية التي دفعت الصليبيين الاول إلى اقتحام هذه المخاطرة ، وضعف شأن البابوية بعد صراعها الطويل مع الامبراطورية ، وانفصمت عرى الوحدة الأوربية دينياً وسياسياً إلى حد كبير . ومع هذا راح نفر من المتحمسين يفكرون في أسباب هذه الهزيمة ، وظهرت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر مشروعات كثيرة لإعادة الكرة ومحاولة اقتحام ديار الاسلام، ولم تكن الحوافز التي حفزت أصحاب هذه المشروعات الجديدة دينية في معظمها كما كانت أول الأمر ، بل ظهرت إلى جانبها عوامل اقتصادية وأطماع سياسية ، وستتلاحق هذه الحوافز والعوامل وتتداخل ويختلط بعضها بالبعض الآخر بحيث يصعب الفصل بين حافز وحافز وعامل وعامل ، بل سنرى أنها — رغم اختلاف أهدافها — ستعمل معاً وفي وقت واحد لتحقيق هدف مشترك وهو اقتحام ديار الإسلام على أهليها ، فبينما كان هذا هدف رجال الدين والرهبان بمشروعاتهم الخيالية لتكوين جيش أوربي موحد يعيد الكرة، أو لتبشير المسلمين بالمسيحية تمهيداً لإزالة الفوارق الدينية ، كان رجال المال

Marfat.com

والاقتصاد يعملون دائبين للاستعانة بالنهضة العلمية الجديدة ويمهدون لحركة الكشوف الجغرافية ، وكان الملوك يرسلون السفارات المختلفة للحصول على امتيازات لتجارهم في الموانى الإسلامية .

وأدرك هؤلاء جميعاً ضرورة تعلم اللغة العربية ، فالمبشر لا يستطيع أن يصل إلى نفوس المسلمين وعقولهم إلا إذا خاطبهم بلغتهم التي يفهمونها ، وكذلك السفير والتاجر لا يستطيعان النجاح في مهمتهما إلا إذا ألمّا بلغة القوم الذين يتعاملان معهم ، والمكتشف والملاح كان لا بد لهما من التعرف على ما وصل إليه العرب من نتائج في علوم الجغرافية والفلك والملاحة .

ولهذا أُنشئت المدارس لتعليم اللغة العربية ، وصنفت المعاجم العربية الاوربية لمعاونة المترجمين ، واخترعت إبّان ذلك الطباعة فاستخدمت خير استخدام لطبع الإنجيل باللغات المختلفة ومن بينها العربية ، ولطبع القرآن وترجماته باللغات الأوربية المختلفة .

وكان لشعوب غرب اوربا المختلفة خلال هذا كله وبعد هذا كله أن يسعوا لمعرفة تاريخ العرب والاسلام على حقيقته بالرجوع إلى ما كتبه العرب أنفسهم ، وبتحقيق النصوص التاريخية الأصلية وترجمتها وطبعها ، إلى أن انتهى بهم الأمر إلى التأليف في تاريخ العرب والاسلام معتمدين على هذه المراجع الأصلية .

هذه الحوافز والعوامل كانت تعمل — كما أسلفنا — جنباً إلى جنب وفي وقت واحد ، وتسير هذه المسيرة الطويلة إلى أن وصلت إلى هذه النهاية التي نقصد إلى تبيانها في بحثنا هذا ، وسنحاول فيما يلي أن نصاحب هذه الحوافز والعوامل في مسيرتها وتشابكها لنصل معها إلى نتيجتها :

ذكرنا من قبل أن القرنين الرابع عشر والخامس عشر شهدا نفراً من رجال الدين الذين نادوا بمشروعات يهدفون بها إلى الانتصار على المسلمين بتبشيرهم

Marfat.com

وتحويلهم إلى النصرانية ، كما فكروا كذلك في محالفة المغول بعد أن انتصروا وأصبحوا قوة لها شأنها في آسيا .

ومن هؤلاء الدعاة المثاليين الخياليين رجل القانون الفرنسي « بيير دوبوا Pierre Dubois » الذي كتب في أوائل القرن الرابع عشر (بين ١٣٠٥ و ١٣٠٧) يدعو إلى إنشاء مدارس لتعليم اللغة العربية .

كذلك أعلن « روجر بيكون Roger Bacon » أن الحروب الصليبية امتازت بالقسوة وكانت عديمة الجدوى ومضيعة للوقت ، وأنه من الواجب تبشير المسلمين ودعوتهم لاعتناق المسيحية بدلاً من التفكير في غزوهم في عقر دارهم .

هذا كان اتجاهاً جديداً لفريق من الاوربيين ـ بعد فشل الحروب الصليبية ـ ولكن معظم رجال الدين كانوا لا يزالون يرون ـ رغم إيمانهم بفائدة التبشير ـ أنه من العسير ، إن لم يكن من المستحيل ، تنصير المسلمين كل المسلمين ، بل لقد كان يروعهم تزايد عدد المسيحيين الذين اعتنقوا الاسلام (١) .

وهذا الاتجاه تبعثه دعوة لضرورة معرفة الكثير عن الاسلام والمسلمين ، وتتضح هذه الدعوة صريحة في المنشور الذي أرسله البابا « أنوسنت الرابع Innocent IV » في ٢٢ يونيو ١٢٤٨ إلى مدير جامعة باريس ، وفي القرار الذي أصدره مجمع فيين الذي انعقد في المدة من ١٥ أكتوبر ١٣١١ الى ٦ مايو ١٣١٢ ، وفيه ينص على ضرورة العناية بتعليم اللغات الشرقية ، وخاصة العربية والعبرية والكلدانية (٢) .

---

(١) Azza Karara. Simon Ockley, His Contribution to Arabic Studies and Influence on Western Thought. (Unpublished Ph. D. Thesis). p. 21.

(٢) Op. Cit. p. 22

Marfat.com

وقد حمل عبء التبشير والدعوة المسيحية جماعات الرهبان الدومنيكيين والفرنسيسكان ، ففي سنة ١٢٥٠ انشأ مجلس المبشرين في مدينة طليطلة أول مدرسة للدراسات الشرقية أنشئت في أوربا (١) ، وفي هذه المدرسة كانت تعلم اللغتان العربية والعبرية لاعـداد من سيقومون بالتبشير للنصرانية بين المسلمين واليهود .

وكان أبرز عالم تخرج في هذه المدرسة هو : « ريمنـــد مارتيني Raymundus Martini » معاصر توما الاكويني ، ويقول الاستاذ جيوم إنه لم يظهر في أوربا في تلك العصور من يضاهي هـذا العالم في معرفته بالمؤلفين العرب .

وقد تجـول كثير من المبشرين في البلاد الإسلامية ، وكان في مقدمتهم القديس « فرنسيس » نفسه الذي رحل إلى مصر وقابل السلطان الملك الكامل محمد في معسكره وحاول أن يدعوه ويدعو جنوده لاعتناق المسيحية ، وقد قدم لنا الأستاذ الدكتور « محمد مصطفى زيادة » صورة حية رائعة لهذه المقابلة وهذه المحاولة ، قال :

« وبينما تجري المفاوضات بـين السلطان الكامل والقيادة الصليبية في مجراها الفاشل (وكان ذلك في أعقاب الحملة الصليبية الخامسة على دمياط) جاء إلى المعسكر الصليبي في دمياط رجل مشرف على الأربعين من العمر ، بالي الثياب وليس في مظهره إلا ما يثير سخرية الجاهل .

« كان هذا الرجل هو القديس فرنسيس الذي يرجع إليه تأسيس جماعة الرهبان الفرنسيسكان ، وهم الذين اطلق عليهم اسم الاخـوان الفقراء ، أو الفقراء الرماديين ، إشـــارة إلى لون ملابسهم الرهبانية ، ووصل القديس

---

(١) Guillaume (A) : Philosophy and Theology in the Legacy of Islam, p. 272.

Marfat.com

فرنسيس إلى المعسكر الصليبي ، حيث وجد الزعامات الصليبية مختلفة حول قبول عروض السلطان الكامل ، للجلاء الناجز الشامل عن دمياط والسواحل المصرية ، واشترك القديس في النقاش المضطرب ، ونصح بقبول عروض السلطان حقناً للدماء ، غير أن نصيحته لم تلق مجيباً ، فرحل عن المعسكر الصليبي إلى أطـــراف معسكر المسلمين في « فارسكور » ، حيث قبض عليه الحرسية المصريون دون أن يبدي أية مقاومة ، وهو يتكلم كلاماً لم يفهم أحد منه شيئاً سوى لفظ « صلدان » ، يريد بذلك أنه يرغب في المثول بين يدي السلطان الكامل ، وأخيراً وجد القديس نفسه في حضرة السلطان الكامل تحيط به حاشية قليلة من قادته ومترجميه ، وربما كان بعض أولئك التراجمة ممن اشتراهم الكامل أيام نيابته عن أبيه بالقاهرة من أفراد حملة الأطفال ، وشرح القديس للسلطان الكامل سبب قدومه اليه ، واستأذن أن يعظه ويصف له المسيحية ويدعوه اليها ، وأذن السلطان للقديس في الكلام واستمع له في دماثة المتمكن من عقيدته ، المحترم لعقيدة غيره .

« ومما يدعو إلى الالتفات أن « الكامل » لم يجادل القديس « فرنسيس » فيما قال ، ولم يستدع أحداً من علمائه لمجـــادلته ، بل اكتفى بالمبالغة في إكرامـــه ، واكتفى القديس بدوره بالامعان في إطراء السلطان ، بعد أن أوصاه بحسن معامـــلة الأسرى من الصليبيين ، وبعد أن طلب اليه إعطاء الاخوان الفرنسيسكان سدانة كنيسة القيامة ببيت المقدس ، ثم استأذن القديس فرنسيس السلطان في الاتصال بالجنود الأيوبيين المسلمين ، والحديث اليهم ، فأذن له ، وظل القديس المسيحي يتقلب في معسكر المسلمين بضعة أيام حتى قرر الرحيل ، فرده السلطان الكامل محروساً إلى أطراف معسكر الصليبيين .

« ورجع القديس فرنسيس إلى أصحابه ، ليخبرهم بما شهد وسمع من أحوال المسلمين وسلطانهم ، ولينذرهم بما عساه يتطور اليه مشروع الهجوم

Marfat.com

على دمياط ، وليكرر عليهم فوائد عروض السلطان ، لكنه وجـد النية معقودة على الحرب ، وهي عكس ما أراد أن يسهم به في خدمة المسيحية ، فاقتنع بأن لا مصلحة في مقامه ، ونفض تراب المعسكر الصليبي عن قدميه ، ويمم نحو الشام وفلسطين بإذن من السلطان الكامل ، حيث أقام بضع سنوات ليؤسس للاخوان الفرنسيسكان نواة أعمالهم في سدانة كنيسة القيامة ببيت المقدس حتى العصر الحاضر »[1] .

وشبيه برحلة القديس فرنسيس ، الرحلة التي قام بها — ولنفس الغرض — « رامون للّ Ramon Lull » ، والتي انتهت بموته في الجزائر .

وهناك نفر من المبشرين لم يرحلوا إلى البلاد الإسلامية ، ولكنهم أسهموا في هذا النشاط التبشيري بإرسال خطابات إلى ملوك المسلمين وعلمائهم ، كما فعـل « أوليفر المدرسي Oliver The Scholastic » في سنة ١٢٢١ حين أرسل إلى سلطان مصر يدعوه إلى اعتناق المسيحية ، وقـد أرسل في نفس الوقت خطاباً آخر مشابهاً إلى فقهاء مصر وعلمائها .

وحاول نفس المحاولة « جاك دي فتري Jacques de Vitry » ، فقد قال في أحد خطاباته :

« لمـا لم أستطع مباشرة الوعظ والتبشير في أرض المسلمين ، فقد بينت لهم في خطاباتي التي أرسلتها إليهم مكتوبة باللغة العربية مثالب دينهم ، والحق الكامن في ديننا »[2].

وخير مثل لهؤلاء المبشرين جميعاً هو « رامون لل » الميورقي (١٢٣٥ —

---

(١) محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر ، ص ٥٠ — ٥٢ ، وانظر أيضاً :
Roncaglia: St. Francis and the Middle East, (Franciscan Center of Oriental Studies. Cairo, 1957) p.p. 25 - 30.

(٢) Munro: Op. Cit. p. 339

Marfat.com

١٣١٦) فقد كان يتقن اللغة العربية ، وبها ألـّف أكثر من كتاب من كتبه ، وفي رحلته التبشيرية الثانية إلى إفريقيا في سنة ١٣٠٧ ، عقد في مدينة بجاية ندوة مع علماء المسلمين بها ، دار النقاش فيها باللغة العربية .

ولقد وضع « أحمق الحب The Fool of Love » (وهو اللقب الذي كان يحلو لرامون أن يطلقه على نفسه) مشروعاً يهدف إلى إنشاء مدارس تبشيرية تعمل على تعليم عـــلوم ولغات الملحدين (يقصد المسلمين) ، فقام بسفرات كثيرة إلى بلاط الأمـــراء المسيحيين ، وألح على الأساقفة ، وقدم الالتماسات إلى البابا طالباً تأييد مشروعه، ومع هذا فقد ضاعت حماسته وسط مشاغل البابوات والأمراء المتجددة ، فلم يكن ينظر إليه إلا على أنـــه خيالي متعب .

ولكن يبدو أن مشروعات « لـلّ » الهادفة إلى إعلان حرب صليبية جديدة وإلى إنشاء مدارس تبشيرية قد وجدت أخيراً شيئاً من العناية في مجمع « فيين Vienne » [١] .

وبتحريض من « رامون للّ » أنشأ الملك جيمس الثاني في سنة ١٢٧٦ مدرسة في مدينة « ميرامار » في الشمال الشرقي من جزيرة « ميورقة » ، لتدريب المبشرين وتعليمهم اللاهوت واللغات الشرقية .

واختير لهـذه المدرسة ثلاثة عشر [٢] تلميذاً يقيمون فيها إقامة دائمة ويتفرغون لتعلم اللغة العربية بصفة خاصة ، ويجري عليهم الملك راتباً سنوياً قدره خمسمائة فلورين ذهباً ، وليس هناك مـا يدل على أن « للّ » قام بالتدريس الفعلي في هذه المدرسة ، ولكن يبدو أنه عهد إليه بالإشراف عليها.

---

(١) مدينة تقع بين افنيون وليون ، عقد فيها المجلس الكنسي العام بدعوة من البـــابا كليمنت الخامس للنظر بوجه خاص في مستقبل فرق الداوية ، وانتهى المجلس في مايو ١٣١٢.

(٢) هذا العدد يرمز الى المسيح وحواريه الاثني عشر.

Marfat.com

ولم تعمر هذه المدرسة طويلاً ، بل عـاشت نحو ست عشرة سنة ، ثم انقطعت أخبارها ، فلم نعد نسمع عنها شيئاً ، وليس في المراجع التاريخية ما ينبىء بأسباب زوالها ، اللهم إلا إشارة عابرة وردت في بيت من قصيدة قالها « للّ » نفسه في سنة ١٢٩٥ يدعو إلى إنشاء مدارس كثيرة على شاكلة مدرسة ميرامار ، في هذه القصيدة يقول :

« فليعض بنان الندم ذلك الذي حكم على هذه المؤسسة بالعدم » (١) .

وفي انجلترا كان أول المشتغلين بالدراسات العربية هو « أديلارد الباثي Adelard of Bath » (١١٢٥) مربي الملك هنري الثاني ، وقد ترجم « اديلارد » بعض النصوص العربية – التي عثر عليها أثناء رحلاته إلى اسبانيا وسوريا – إلى اللغة اللاتينية .

وتبعه في هذا الميدان « دانيل مورلي Daniel Morley » في القرن الثاني عشر ، وميخائيل سكوت Michael Scot في القرن الثالث عشر .

ومع حلول القرن الخامس عشر ، ومع زيادة الاهتمام بالدراسات واللغـة الإغريقية طرأ على الدراسات العربية في أوربا تطور جديد ، فلم تعد دراسة اللغة العربية ضرورية كمفتاح لفتح الكهوف المؤدية الى كنوز العلم والفلسفة .

وبدأ الدارسون يعنون باللغـة العربية لذاتها ولما تحتويه هي من كنوز للمعرفة وما تضمه من آداب ، تضاف إلى هـذا أسباب أخرى كثيرة دفعت الأوربيين إلى مزيد من الاهتمام بالدراسات العربية بما فيها التاريخ .

ففي النصف الثـــاني من القرن الخامس عشر نجح فاسكو دي جاما في الطواف حول رأس الرجاء الصالح ، وفتح بذلك الطريق أمام البرتغاليين من

---

(١) A. Peers : The Fool of Love, p. 99, & Azza Karara : Op. Cit. p. 28.

Marfat.com

تجار ومبشرين للوصول إلى الهنـــد ، ثم تبعهم على نفس الطريـق الانجليز والهولانديون والفرنسيون[١] .

ويرجع الفضل الأكبر في نجاح فاسكو دي جاما ورحلاته الاستكشافية إلى ما أفاده من المراجع الجغرافية العربية التي ترجمت في اسبانيا ومن مدرسة الخرائط التي قامت في جزيرة ميورقة [٢] معتمدة على جهود العرب السابقة ، وفوق هذا كله فقد كان دليله الذي قاده من شرق افريقيا وأوصـله آمناً إلى الهند هو الملاح العربي المشهور ابن ماجد [٣] .

وتبعاً لهذا الكشف أُنشئت محلات ومستعمرات كثيرة على سواحل بلاد العرب والخليج الفارسي ، ولم يؤدِّ هذا — كما يقول الأستاذ أربري — إلى مزيد من الإقدام الحربي والبحري وحسب ، بل إلى مزيد كذلك من الرفاهـة السياسية ، ووجدت الشعوب الأوربية أنه من الضروري أن يكون في صحبة سفرائها أناس يعرفون لغة وعادات وتاريخ البلاد التي يقدمون على مفاوضتهـا والتعامل معها .

كذلك نلاحظ أن البلاط البابوي ظل يتابع عنايتـه بتعليم اللغة العربية

---

(١) Arberry : British Orientalists. London. 1943, pp. 12 - 13

(٢) بدأت أوربا بجمع معارفها عن افريقيا والشرق من التراث العربي الاسلامي ، وكان هذا التراث هو المصدر الرئيسي لمدرسة الخرائط التي قامت بجزيرة ميورقة في العصور الوسطى. فقد اعتمد علماء تلك المدرسة فيما رسموه من خرائط للعالم على المعلومات والأوصاف التي دونها المؤلفون العرب أمثال البكري وابن سعيد والادريسي وغيرهم .

قامت هذه المدرسة في جزيرة ميورقة بعد أن أطاح المسيحيون في مطلع القرن الثالث عشر بالسيادة الاسلامية التي فرضها المرابطون على تلك الجزيرة ، والفضـل في اقامتها يرجع الى ابراهام كرسك A. cresques الذي كان يعمل منجماً أو فلكياً في بلاط اراغون .

(٣) انظر : قطب الدين النهرواني : البرق اليماني في الفتح العثماني (مخطوطة دار الكتب)، وأنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

Marfat.com

كأداة من الأدوات التي تساعده على توحيد نصارى الشرق وربطهم بالبابوية في روما ، وكان أول كتاب طبع بالحروف العربية هو كتاب Septum Horae Canonicae الذي ظهر في سبتمبر سنة ١٥١٤ تنفيذاً لأمر البابا جوليوس الثاني Julius II ليستعمله ويفيد منه الأقباط اليعاقبة في مصر .

هذه العلاقات بين البلاط البابوي والكنائس الشرقية جعلت من روما مركزاً يجذب إليه الزائرين والقاصدين، وبعض هؤلاء لم يكونوا من المسيحيين، ومنهم الأمير جم المطالب بالعرش العثماني والمنافس لأخيه بايزيد الثاني ، وقد عاش في روما ست سنوات (١٤٨٩ — ١٤٩٥) ، ومنهم كذلك ليو الافريقي ، وهو مسلم أصلاً ، وقد عاش في روما وتنصر ، وفيها ألف كتابه المشهور « وصف افريقيا Descriptione dell' Africa » الذي قدم فيه للغرب أول معلومات صحيحة عن افريقيا وعن المسلمين وعاداتهم وأخلاقهم .

أما الدافع الأكبر للعناية بالدراسات الشرقية والعربية فقد ظل بعد هذا ولمدة طويلة في أيدي جماعات الانجيليين The Evangelists ، فقد كان الانجيليون يتبعون دائماً التاجر والمستعمر والسياسي والعالم الباحث حيثما ساروا وأينما اتجهوا ليمهدوا لسيادة سادتهم هؤلاء ، ولينتشروا في جميع أنحاء العالم ، ولينشروا رسالة المسيحية بين كل الناس .

وبذلت جهود كثيرة في غربي اوربا — وخاصة في اسبانيا — لوضع المعاجم العربية التي تعين المبشرين على أداء مهمتهم ، وفي مقدمة هذه الجهود مؤلفات بدرو الكالا Pédro de Alcala واهمها : معجمه العربي القشتالي Vocabulista Aravigo en Letra Castellana الذي ظهر في غرناطة في سنة ١٥٠٥ .

ولكن مع السنوات الأولى من القرن السابع عشر كانت سياسة العنف التي انتهجتها اسبانيا المسيحية تهدف إلى التخلص نهائياً من المسلمين والموريسكيين

Marfat.com

ومن كل أثر باق للغة العربية وللثقافة الاسلامية ، وارتكب الكاردينال « خمنيس دي سيسينروس » إثماً كبيراً حين أمر بجمع كل ما يستطاع جمعه من الكتب العربية من أهالي غرناطة وأرباضها ونظمت أكداساً هائلة في ميدان باب الرملة — أعظم ساحات المدينة — ومنها كثير من المصاحف البديعة الزخرف ، وآلاف من كتب الآداب والعلوم، وأُضرمت النيران فيها جميعاً ، ولم يُستثنَ منها سوى ثلاثمائة من كتب الطب والعلوم، حملت إلى الجامعة التي أنشأها في مدينة ألكالا دي هنارس Alcala de Henares وذهبت ضحية هذا الاجراء الهمجي عشرات ألوف من الكتب العربية ، هي خلاصة مـــا بقي من تراث التفكير الإسلامي في الأندلس (١) .

وبهذا تخلت اسبانيا — التي ظلت قروناً طويلة مصدر إشعـاع للدراسات والعلوم العربية — عن مهمتها ، وانتقلت الشعلة منذ ذلك الوقت إلى شعوب غرب أوربا الأخرى .

وحملت الشعلة فرنسا — بعد اسبانيا — وأدرك المستعرب « جيوم بوستيل Guillaume Postel » قيمة اللغة العربية وفائدتها في الاتصال بالمغاربة والمصريين والسوريين والعرب وغيرهم من شعوب الشرق .

وتحت تأثير حماسته التبشيرية البالغة أقبل بوستيل على تعلم اللغة العربية وغيرها من اللغات الشرقية ، وقام بجولات كثيرة في الشرق حيث استطـاع أن يجمع مجموعة كبيرة من المخطوطات القيمة التي باعها فـيما بعـــد لمكتبـــة « هيـدلبرج Kurfürsten Von der Pfal Ottheinrich Heidelberg » .

وحوالي سنة ١٥٣٨ ظهر كتاب بوستيل «الأجرومية العربية Grammatica

---

(١) محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، الطبعة الثالثة ، ص ٣١٦ ، وبهـــذا الفصل مناقشة قيمة ممتعة لهذه المأساة .

Marfat.com

Arabica » وفي السنة التالية (١٥٣٩) ظهر كتابه الثاني « جمهورية الترك De la Republique des Turks ».

وكانت المخطوطات التي جمعها بوستيل النواة التي نبتت عنها الدراسات العربية في المانيا ، وقد شجعت الكنيسة الكلفنية – التي ازدهرت في هيدلبرج ابتداء من سنة ١٥٦٠ – المستشرقين على ترجمة العهد الجديد وبعض الوثائق المتضمنة في مجموعة بوستيل الخطية عن اللغة العربية أو السريانية إلى اللغة اللاتينية ، وتشير المراجع إلى أسماء بعض من قاموا بهذه الترجمات من أمثال : « ايمانويل تريملليوس Immanuel Tremellius » (١٥١٠ – ١٥٨٠) ، و « چونيوس Junius » (١٥٤٥ – ١٦٠٢) و « يعقوب كريستمان Jacob Christman » (١٥٥٤ – ١٦٠٣) وروتجر سباي Rothger Spey.

وكان سباي أشد هؤلاء الرجال حماسة للدين وللحركة التبشيرية ، وقد أخذ على عاتقه الدعوة إلى إنشاء مطبعة عربية تقوم بطبع الإنجيل لنشره في العالم الشرقي ، ولكن هذا المشروع لم يتحقق .

وظلت أوربا إلى النصف الثاني من للقرن السادس عشر وليس في مطبعة من مطابعها حروف عربية ، وفي سنة ١٥٨٠ أنشأ « فرديننند مديتشي Ferdinand of Medici » – كاردينال وكبير أساقفة توسكانا – مطبعة بها حروف عربية في مدينة روما ، وكان يهدف بإنشاء هذه المطبعة إلى تحقيق غرضين : التبشير عن طريق نشر الكتاب المقدس في البلاد الإسلامية ، وتحقيق مزيد من علاقات التقارب والصداقة بين الكنيستين الشرقية والغربية .

وكان من بين الكتب الأولى التي طبعت في هذه المطبعة نص عربي للأناجيل الأربعة ظهر في سنة ١٥٩٠ ، كما طبع فيها كذلك كتب في الأجرومية العربية ليستعملها المبشرون .

ثم تبع هذه المطبعة مطابع أخرى مزودة بالحروف العربية ، فأنشأ

Marfat.com

« فرنسوا سافاري دي بريف François Savary de Breves» مطبعة من هذا النوع في روما أولاً ثم نقلها إلى باريس في سنة ١٦١٥ ، ثم أنشأ « فرانسيسكوس رافيلنجيوس Franciscus Raphelengius » (١٥٣٩ — ١٥٩٧) مطبعة ثالثة في هولندا ، وأنشأ « بيتر كريستن Peter Kristen » (١٥٨٥ — ١٦٤٠) مطبعة رابعة في ألمانيا .

وأخرجت مطبعة « أوكسفورد » في منتصف القرن السابع عشر أول كتابين بالحروف العربية ، الأول سنة ١٦٤٨ والثاني سنة ١٦٤٩ وهو كتاب « مقتطفات تاريخية عربية Specimen Historiae Arabum » لمؤلفه بوكوك Pococke .

وفي نفس الوقت بدأ في غرب اوربا اتجاه جديد في ميدان الاستشراق على يد « جوزيف سكاليجر Joseph Scaliger » (١٥٤٠ — ١٦٠٩) يختلف تمام الاختلاف عن النشاط التبشيري وعن الرغبة في خدمة الديانة المسيحية ، ولهذا اعتبر سكاليجر عند « توماس اربينيوس Thomas Erpenius» على أنه اول المستعربين الحقيقيين « Primus Arabisantium » .

كان سكاليجر تلميذاً لبوستيل ، ولكنه كان يختلف عنه اختلافاً كبيراً ، فلم يكن متأثراً بالأهداف الإنجيلية ، وإنما تركزت أمانيه في الرغبة في التعرف على الحقائق التاريخية ، وكان سكاليجر على معرفة طيبة كذلك باللغتين اليونانية واللاتينية وبحوليات العصور الوسطى والمراجع التاريخية الشرقية والكتابات المعاصرة ، كما كان يملك مجموعة من المخطوطات الشرقية والعربية التي أهداها إلى مكتبة جامعة ليدن .

وفي أوائل القرن السابع عشر ، ومع انتقال الاهتمام بالدراسات العربية من اسبانيا إلى دول غرب أوربا بدأت العناية بتاريخ العرب والإسلام تتخذ مظاهر جديدة .

Marfat.com

وكان من رواد هذه الحركة الجديدة «توماس اربينيوس Thomas Erpenius» (١٥٨٤ – ١٦٢٤) ، فقد ظهرت له في سنة ١٦١٣ أول دراسة منهجية في أوربا للنحو العربي ، وبعد أن كانت جهود الأوربيين السابقة تبذل لدراسة القرآن بدأ اربينيوس دعوة جديدة فقال بأنه من الضروري لكي تدخل المسيحية في جدل مع الإسلام أن تعنى – إلى جانب دراسة القرآن – بدراسة التفسير والسنّة .

وأتم أربينيوس كذلك العمل الذي كان قد بدأه قبله سكاليجر ولم يتمه ، وهو ترجمة لمائتي مثل عربي مع تفسير لها ، وطبع هذا الكتاب « Proverbiorum Arabicorum Centuriae Duae » في سنة ١٤١٦ .

ويقول الاستاذ فوك Fiick إن هذا الكتاب يعتبر معلماً من معالم تاريخ الدراسات العربية في أوربا، لأنه أول جهد علمي بذل في نشر النصوص العربية.

وألحق أربينيوس بكتابه في النحو كتاب مطالعة للمبتدئين في تعلم العربية ضمنه مختارات من حِكم لقمان ومائة مثل عربي أُخرى مصحوبة بترجمة لاتينية، وسماه « أمثال لقمان الحكيم وبعض أقوال العرب » وطبع هذا الكتاب في سنة ١٦١٥ .

والدراسات العربية – كما سبق أن أسلفنا – كل لا يتجزأ ، ومعرفة بعضها تستلزم معرفة البعض الآخر ، والقاعدة الأساسية للتعمق في هذه الدراسات هي علم التاريخ ، وقد انتهى اربينيوس إلى هذه الحقيقة وبدأ يسهم في العناية بالتاريخ الإسلامي ، فاستعار من مكتبة هيدلبرج المخطوط التاريخي الوحيد الذي كان قد جلبه بوستيل ضمن مجموعته ، وبدأ بدراسته .

هذا الكتاب هو الجزء الثاني من التاريخ العام للمؤرخ القبطي المصري

Marfat.com

المكين جرجس بن العميد [1] (٦٠٢ – ٦٧٢ / – ١٢٧٣) وعنوانه « تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد إلى الدولة الاتابكية » ، وهو كما يدل عنوانه يؤرخ للعالم الإسلامي منذ عهد الرسول إلى عصر الأتابكة (سنة ٦٥٨/١٢٦٠) .

وحـــاول أربينيوس – مستعيناً ببعض المراجع العربية وخاصة تقويم البلدان لأبي الفدا – أن يخرج نصاً صحيحاً للكتاب ، وقد بدأ العمل ولكنه لم يستطع اتمامه فقد مات مطموناً قبل أن ينتهي من تحقيقه .

وقبل موتــه أهدى الكتاب والجهد الذي بذله إلى تلميذه « يعقوب جوليوس Jacobus Jolius » فأتمه وظهرت أول طبعة لأول كتاب تاريخي عربي في أوربا سنة ١٦٢٥ ، وقد ألحق جوليوس به ذيلاً للتأريخ للمسلمين في اسبانيا – وهو ما لم يتناوله ابن العميد في كتابه – من تأليف المؤرخ الإسباني « دون رودريجو خيمينيز دي رادا Historia Arabum of Don Rodrigo Jimenez de Rada (١١٧٠ – ١٢٤٧) .

وقد قام يعقوب جوليوس (١٥٩٦ – ١٦٦٧) برحلات كثيرة إلى شمال افريقيا والشرق ، واستطاع خلال هذه الرحلات أن يجمع حوالي ٢٥٠ مخطوطاً عربياً ضمها بعد ذلك إلى مكتبة ليــدن ، فــكانت النواة الأولى للدراسات العربية والشرقية التي امتازت بها ليدن منذ ذلك الوقت .

---

(١) طبع هذا الكتاب بنصه العربي لأول مرة مع ترجمته اللاتينية بعنـاية أربينيوس في ليدن سنة ١٦٢٥ ، ثم ترجم الى اللغة الفرنسية وطبع في باريس سنة ١٦٥٧ ، والى اللغة الانجليزية وطبع في لندن سنة ١٦٢٦ ، وقد ذيل على هــذا التاريخ مؤرخ قبطي آخر هو المفضل بن أبي الفضائل، وسمى كتابه «النهج السديد والدر الفريد في ما بعد تاريخ ابن العميد» وطبع في باريس بعناية Blochet . راجع ترجمة ابن العميد في : « جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٣ ، ص ١٨٥ » و (مجلة الشرق ، ١٢ - ٤٩٠) و (سركيس : معجم المطبوعات العربية) .

Marfat.com

وبالإضافة إلى مـا قام به « جوليوس » من نشر نصوص عربية مختلفة فقد وضع مؤلفه الرئيسي الهام وهو «المعجم العربي اللاتيني Lexicon Arabico Latinum Lug. Bat. 1653 » وقد استعان في تأليفه بعدد كبير من المعاجم العربية من بينها : الصحاح للجوهري ، والقاموس للفيروزابادي ، واساس البلاغة للزمخشري ، وظـــل هذا المعجم مرجعاً للدارسين والباحثين من الأوربيين ردحاً طويلاً من الزمن .

وما وافى القرن السابع عشر حتى تكاثر عدد المستشرقين في انجلترا ويعتبر « وليم بدول William Bedwell » (١٥٦١/٦٢ — ١٦٣٢) أبا الدراسات العربية ، فقد كان أول من أخرج ترجمة انجليزية للقرآن وتبعه بعد ذلك « الكسندر روس Alexander Ross » بترجمة ثانية ، وقبل نهاية القرن السابع عشر ظهرت طبعتان أخريان للقرآن :

— الأولى وتتضمن النص العربي ، وقام على نشرها هنكلمان في هامبرج سنة ١٦٩٤ تحت عنوان :

« Al-Coranus. Le x Islamica Muhammedis, filii Abdellae pseudoprophetae, ad Optimorum Codicum fidem edita ex Musea A Abrahami Hinckelmanni. Hamburgi 1694. »

— والثانية وتتضمن النص العربي مع ترجمة لاتينية ، قام على نشرها « ماراتشي Marraci » في سنة ١٦٩٨ تحت عنوان :

« Alcorani Textus ex correctionibus Arabum exeuplaribus descriptus ... in Latinum translatus ; appositis unicuique capiti notis. atque refutatione :

His omnibus praemissus est prodromus ... suctore Ludovico Maraccio ... Patavii 1698. »

وبهذه الترجمات والنشرات للقرآن، وبوجهة النظر الجديدة التي كانت تدعو لدراســة التفسير والحديث والتاريخ بدأت تظهر تقــاليد ومفاهيم جديدة

Marfat.com

للاستشراق في غرب أوربا ، وتبعاً لذلك بدأت تظهر في ميدان الدراسات التاريخية العربية شخصيات فذة ، كان من بينها :

— « بوكوك Pococke » (١٦٠٤ — ١٦٩١) ، وقد جمع مجموعة قيمة من المخطوطات العربية أثناء رحلاته في الشرق ، وهذه المجموعة بالإضافة إلى المخطوطات المقدمة من الأسقف لود هي التي كوّنت الجزء الأكبر من مجموعة المخطوطات العربية في المكتبة البودلية بأوكسفورد ، واعتماداً عليها وضع « بوكوك » مؤلفه التاريخي الهام « مقتطفات من تاريخ العرب Specimen Historiae Arabum » الذي طبع في سنة ١٦٤٩ .

— و « دربيلو D'Herbelot » (١٦٢٥ — ١٦٩٥) ، وقد أودع خلاصة دراساته في كتابه القيم «المكتبة الشرقية Bibliothèque Orientale » الذي طبع لأول مرة في سنة ١٦٩٧ ، وهو موسوعة شاملة لكل ما يتصل بشعوب الشرق من تاريخ وعادات وأخلاق وأديان ومذاهب سياسية وحكومات وقوانين وحروب وعلوم وآداب وفنون ... الخ ، وتعتبر هذه الموسوعة إلى حد كبير الأب الأول لدائرة المعارف الإسلامية الحديثة .

— و « سيمون أوكلي Simon Ockley » (١٦٧٨ — ١٧٠٠) ، وسنفصل الحديث عنه وعن جهوده ودراساته التاريخية بعد قليل .

ونتيجة لجهود هؤلاء العلماء والمؤرخين أصبح الأوربيون ينظرون إلى القرآن نظرة جديدة ، وإلى محمد عليه السلام نظرة أكثر فهماً ، ولم يكن غريباً بعد ذلك أن نرى ليبنتز وكثيرين غيره يعبرون عن رأيهم في محمد بقولهم إنه لم يكن إلا بشيراً بدين طبيعي .

بل إن هنري بولينفييه (١٦٥٨ — ١٧٢٢) ذهب الى أبعد من هذا ، فاعتبر محمداً بطلاً ومؤسساً لدين أكثر منطقاً من المسيحية ، وقد شرح رأيه

Marfat.com

هذا في كتابه عن سيرة الرسول : (١)

« La vie de Mahomet, avec des Reflections sur la Religion des Musulmans » . الذي طبـع في لندن سنة ١٧٣٠ ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الانجليزية وطبعت الترجمة في سنة ١٧٣١ ، وكانت محاولته هذه ارهاصاً لمـا قدمه فـيما بعد توماس كارليل عندما صوّر لنا محمداً « البطل في صورة نبي The Hero as a Prophet »

ولكن المناقشة الجريئة — غير المتحيزة — للإسلام تظهر في انجلترا في سنة ١٧١٢ بظهور رسالتين مترجمتين إلى اللغة اللاتينية ، قام بهما « أدريان ريلاند Adrian Reland » استـاذ اللغات الشرقية في جامعة « اوترخت Utrecht » .

— كانت الرسالة الأولى تحمل عنوان : « عرض موجز للفقه والعقائد الإسـلامية Ashort Svstem of Mohametan Theology » ، وتتضمن بياناً عن العقائد الإسلامية في الله والملائكة والقرآن والنبي واليوم الآخر ، وبياناً عن الصلاة والزكاة والصيام والحج ... » .

وهذه الرسالة ليست ترجمة لمخطوط بعينه ولكنها اختيارات (اقتباسات) من مراجع عربية متعددة .

— والرسالة الثانية تتضمن دفاعاً عن المسلمين ضد الاتهامات التي يوجهها اليهم المسيحيون ، وعددها تسعة وثلاثون اتهاماً ، كقولهم بأن المسلمين يعبدون كوكب الزهرة أو أنهم يعبدون كل الكائنات الحية ... الخ ، ويقول ريلاند في مقدمة كتابه « Of the Mohametan Religion » :

« .... بقي أن نستقصي عما إذا كان المسلمون يعتقدون حقيقـة بمثـل

---

(١) Azza Karara : Op. Cit. p. 45

Marfat.com

هذه الأشياء يتهمهم المسيحيون بالإيمان بها ، وعندما فحصت بعض هذه الأمور كنماذج تبين لي أن الدين الاسلامي له وجه مختلف تمام الاختلاف ، ولهذا اعتقدت أنه مما يستحق العناية أن أقدم شرحاً لهذه المعتقدات مستقى من المؤلفين العرب أنفسهم .

ومن بين دول غربي أوربا كانت انجلترا مركزاً لنشاط الدراسات التاريخية العربية خلال القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر ، فظهر فيها عدد من أعلام المستشرقين الذين تخصصوا في دراسة التاريخ الاسلامي وألفوا فيه معتمدين على المراجع العربية الأصلية ، وسنحاول أن نقدم فيما يلي ثلاثة من هؤلاء المؤرخين الانجليز وجهودهم في الكشف عن حقائق التاريخ – تحقيقاً وترجمة وتأليفاً – كنماذج للنهضة الاستشراقية التاريخية التي شملت معظم دول غرب أوربا خلال هذه الحقبة والتي كانت ارهاصاً للنشاط المتزايد في الدراسات التاريخية الاسلامية الذي شهدته دول غرب أوربا مجتمعة منذ منتصف القرن الثامن عشر إلى وقتنا الحالي .

أشرنا من قبل إلى أن « بوكوك Pococke » كان من أوائل المستشرقين الذين عنوا بدراسة التاريخ الاسلامي ، ومع هذا فقد كان انتاجه محدوداً في موضوعاته وفي تأثيراته ، وصرف معظم جهوده في نشر مرجعين من المراجع التاريخية العربية لمؤلفين مسيحيين وترجمتهما إلى اللغة اللاتينية ، ثم ألف بعد ذلك كتابه « نماذج من التاريخ العربي Specimen Historiae Arabum » والكتاب جميعاً باللغة اللاتينية ، فهي موجهة إلى قراء الأكاديميين أكثر منها إلى جمهور القراء من المتعلمين والمثقفين ، وقد خلف بوكوك وشغل بعده كرسي اللغة العبرية في جامعة اوكسفورد :

١ – همفري بريدو [1] Humphrey Prideaux

---

(١) Dictionary of National Biography, XIVI, 352-4: Article by: Rev. Alexander Gordon.

Marfat.com

ولد في « كورنول Cornwall » في سنة ١٦٤٨ ، وتلقى علومه في مدرسة « وستمنستر » التي كان يشرف عليها العالِم المشهور دكتور بسبي Dr. Busby وقد عرف بسبي أثناء نظارته لهذه المدرسة بعنايته الفائقة بالدراسات الاستشراقية المعروفة في عصره فأضاف إلى مناهج الدراسة بمدرسته اللغات العربية والعبرية والآرامية .

وفي سنة ١٦٦٨ رحل بريدو إلى « كريست تشيرش Christ Church » في أوكسفورد ، وفي سنة ١٦٧٩ عين محاضراً للغة العبرية بها ، ثم غادرها في سنة ١٦٨٦ حيث قضى بقية حياته في « ايست أنجليا East Anglia » شاغلاً بعض الوظائف الدينية ، ولما مات بوكوك في سنة ١٦٩١ عيّن بريدو استاذاً لكرسي اللغة العبرية في أوكسفورد .

وفي سنة ١٦٩٧ طبع كتابه المشهور في سيرة النبي محمد عليه السلام المكتوب باللغة الانجليزية والمعنون :

« The true nature of imposture fully displayed in the life of Mahomet. With a discourse annexed for the vindication of Christianity from this charge. Offered to the consideration of the Deists of the present age. »

وقد لاقى الكتاب نجاحاً كبيراً فطبع مرتين في نفس السنة التي ظهر فيها (١٦٩٧) وفي السنة التالية (١٦٩٨) طبعت ترجمة فرنسية للكتاب والعنوان الكامل للكتاب يدل على هدفه الجدلي وصلته الوثيقة بطبيعة الدراسات والآراء السائدة في أوربا في أواخر القرن السابع عشر .

وكان يريد ويقصد أصلاً إلى إخراج مؤلف أضخم عنوانه « تاريخ فساد الكنيسة الشرقية «The History of the Ruin of the Eastern Church يؤرخ فيه للمدة من ٦٠٢ — ٩٣٦ ، ويوضح — بإعطاء المثل — الاخطار الناجمة عن النزاع الديني ، فقد كان يريد ويعتقد أن الجدل الديني في الكنيسة

Marfat.com

الشرقية أثار صبر الرب، فاتخذ المسلمين سلاحاً من أسلحة غضبه، وانتهز هؤلاء فرصة ضعف الدولة البيزنطية والنزاع القائم بين المجامع الدينية ، وانقضوا في سرعة على إمارات الأمبراطورية الرومانية الشرقية واقتطعوها لأنفسهم (١) .

ورأى بريدو في هذه السابقة تحذيراً كافياً ومخيفاً لأصحاب المذاهب الدينية التي ظهرت في انجلترا بعد ثورة ١٦٨٨ ، فهو يقول في كتابه :

« أليس هذا سبباً كافياً يثير الخوف أن يبعث الله لنا بنفس الطريقة محمداً آخر عقاباً على ما يسود بيننا من نزاع ... وان انتشار آراء المؤمنين بوحدانية الله والمنكرين لألوهية المسيح فيه سبب كاف لاستنزال غضب الله علينا . ان الطاعون قد بدأ ينتشر فعلاً بين ظهرانينا » .

فالدافع الذي دفع بريدو إلى وضع مؤلفه هذا هو نشاط الجدال الديني في انجلترا وقتذاك حول فكرة التثليث والوحدانية ، ولهذا اختار الاجزاء الخاصة بحياة محمد من كتابه الكبير عن تاريخ الكنيسة الشرقية ، ونشره في الصورة التي وصلتنا بعنوان « حياة محمد » .

ويبدو أن بريدو أراد ان يقلد مؤلفاً سابقاً وضع قبل ذلك عن حياة محمد والعصر الإسلامي الأول ، وكانت مخطوطة هذا الكتاب تتداول بين الأيدي ومؤلفه هو « هنري ستبز Henry Stubbs » المتوفى سنة ١٦٧٦ .

وستبز يشبه بريدو في نواحٍ كثيرة ، فهو قد درس مثله في وستمنستر وتتلمذ على بسبي Buzby ، وتخرج في اوكسفورد ، وخدم في جيش البرلمان أثناء الحرب الأهلية ، وكتابه — الذي طبع لأول مرة في سنة ١٩١١ — كانت توجد منه مخطوطات كاملة أو مجزوءة في مختلف المكتبات ، ولا زال

---

(١) Prideaux : Life of Mahomet. 8th. edition. London 1723. p. p. VII - VIII.

Marfat.com

بعضها محفوظاً في المتحف البريطاني ، والكتاب – بوجه عام – يتسم بروح العطف على الاسلام .

وفي القسم الخاص بالتاريخ الاسلامي اعتمد ستبز ما كتبه أو ترجمه قبله كل من « هوتنجر Hottinger » و « اربينيوس Erpenius » و « بوكوك Pococke » ، كما أفاد من روايات الرحالة والمسافرين .

وبدراسة كتاب بريدو نستطيع أن نلاحظ أنه كان يهدف الى تحقيق غرضين مختلفين :

– أن يعرض المثالب المنسوبة للاسلام (وتلك كانت السمة السائدة والتقليدية في كتابات المسيحيين الاوربيين في ذلك الوقت) .

– وان يقدم دفاعاً عن المسيحية ضد دعاة الوحدانية المعاصرين . ولهذا فإن كتاب بريدو يتكون في الحقيقة من جزئين :

– الجزء الأول عنوانه « حياة محمد The life of Mahomet » ويقع في ١٢٥ صفحة .

– والجزء الثاني عنوانه « خطاب الى دعاة الوحدانية A Letter to the Deists ... etc. » ويقع في ١١٠ صفحات .

وفي نهاية الكتاب تقرير عن المراجع التي أفاد منها ، ومن بينها ٣٦ كتاباً عربياً ، هذا عدا إشاراته في الهوامش والتعليقات الى مراجع عربية أخرى كثيرة أو الى ما ترجمه المستشرقون السابقون من هذه الكتب وما ألفوه .

أهم هذه المراجع التاريخية العربية ثلاثة كتب لمؤلفين من العرب المسيحيين مع ترجماتها اللاتينية ، وتلك هي :

Marfat.com

— كتاب تاريخ المسلمين للمكين جرجس بن العميد نشر وترجمة اربينيوس[1].

— كتاب تاريخ مختصر الدول لأبي الفرج الملطي المعروف بـ« ابن العبري Bar Hebraeus » نشره وترجمه الى اللاتينية بوكوك [2] .

— كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق « لسعيد بن البطريق اوتيخيوس Eutychius » نشر وترجمة بوكوك[3] كذلك .

وقد اعتمد بريدو كذلك على القرآن في طبعاته وترجماته المختلفة التي ظهرت حتى عصره ، وهي :

— الترجمة اللاتينية للقرآن التي قام بها « روبرت الانكليزي Robert the Englishman » في القرن الثاني عشر ، والتي أشرف على طبعها فيما بعد « ببليياندر Bibliander » في سنة ١٥٤٣ .

---

(١) Thomas Erpenius: Historia Saracenica. Leiden, 16-25
وقد عرفنا بهذا المؤرخ وكتابه عند كلامنا عن اربينيوس فيما سلف هنا .

(٢) Edward Pococke: Historia Compendie Dyastiarum. Oxford 1663.
أما أبو الفرج الملطي فهو غريغوريوس بن هرون المعروف بابن العبري Bar Hebraeus (٦٢٣ — ٦٨٥) ولد بملطية ، ودرس على أبيه الفلسفة والطب وتعلم اللغات اليونانية والسريانية والعربية ، وفر مع أبيه الى انطاكية أمام زحف المغول على العراق وشمال الشام . ثم تنقل في مدن الشام ، واتصل بعد ذلك بهولاكو ، وعاش أيامه الأخيرة في سيس بأرمينية ومات بمرافة بإقليم اذربيجان، وله مؤلفات كثيرة في علوم الهيئة والطب والدين والتاريخ وأهمها كتابه تاريخ مختصر الدول المشار اليه هنا . راجع ترجمته في : (مقدمة كتابه تاريخ مختصر الدول) و (تاريخ سوريا للمطران يوسف الدبس) و (سركيس : معجم المطبوعات العربية).

(٣) Edward Pococke: Contextia Gemmarum. Oxford, 1658-9
وقد قدمنا تعريفاً بهذا المؤرخ وكتابه فيما سبق هنا عند كلامنا عن وليم الصوري في فصل الحروب .

Marfat.com

— النسخة العربية من القرآن التي أشرف على طبعها هنكلمان [1]، ويبدو أن بريدو لم تكن لديه القدرة الكافية للإفادة منها ، فقد قال عند الاشارة اليها : « ليت الناشر أضاف اليها ترجمة لاتينية، فإنه كان يجعلها أكثر فائدة».

— الترجمة الفرنسية للقرآن التي قام بها « رييه Reyer » ، وقد أبدى بريدو إعجابه بها بقوله: « ومن الإنصاف أن نقول انها أنجزت على أحسن وجه يمكن أن نتوقعه من رجل لم يكن إلا تاجراً » .

— الترجمة الانجليزية التي أعدها « الكسندر روس Alexander Ross »[2] (وهي ترجمة كثيرة الأخطاء) .

ومن المراجع الجغرافية العريقة التي رجع اليها بريدو وأفاد منها قسم من كتاب « نزهة المشتاق » للشريف الادريسي كان قد أشرف على طبعها في سنة ١٦١١ اثنـــان من الموارنة تحت عنوان « جغرافية النوبي Geographia Nubiensis » .

وقد اعتمد بريدو اعتماداً كبيراً على الكتاب التاريخي الذي ألفه بوكوك والذي أشرنا اليه من قبل وهو كتاب « نماذج من التاريخ العربي Specimen Historiae Arabum »، كما اعتمد في حالات قليلة على ما كتبه بعض المستشرقين الآخرين من رجال القرن السابع عشر ، وبخاصة كتاب « التاريخ الشرقي Historia Orientalis » للمستشرق السويسري « هوتنجر Hottinger »[3]

---

(١) Abraham Hinckelmann; al-Coranus s. Lex Islamica Muhammedis. Hamburg, 1694.

(٢) Alexander Ross: The Alcoran of Mahomet. London. 1649

(٣) J. H. Hottinger: Historia Orientalis. Zurich. 1651 and 1660

Marfat.com

وكتاب « تاريخ العرب Historia Arabum » للمؤلف الماروني « ابراهام ايخيلينسس [1] Abraham Echellensis » .

وقد خرجت السيرة التي كتبها بريدو لمحمد — عليه السلام — خليطاً من الروايات الاسلامية والأساطير المسيحية في إطار أخير من الكراهية الواضحة للموضوع وصاحبه ، ومع هذا فهي تمثل تقدماً واضحاً لا بأس به في هذا الميدان إذ قورنت بالتراجم التي كتبها المؤلفون الاوربيون لمحمد قبل هذا في أوائل القرن السابع عشر ، مثل الترجمة الواردة في رحلة « ساندز George Sandys : A Relation of a Journey Begun An Dom fifth edition. London 1652 » ، والسيرة التي ألحقها « الكسندر روس » بترجمته للقرآن ، فهاتان الترجمتان مليئتان بالأساطير ، أما السيرة التي كتبها بريدو فهي على الأقل تعتمد على الحقائق التاريخية وان كان ينتشر فيها كثير من الأساطير المقتبسة من المراجع المسيحية والاسلامية [2] .

— سيمون اوكلي [3] Simon Ockley

أما سيمون أوكلي — أحد تلامذة وعلماء كمبردج — فقد قدم للمعارف

---

(١) Abraham Echellensis: Historia Arabum. supplement to Chronica Orientale. Paris. 1651.

(٢) Holt. Op. Cit p. 294.

(٣) عن أوكلي ، حياته وجهوده في خدمة تاريخ العرب والاسلام ، راجع : وهو الفصل الذي أضافه Bohn لطبعة Memoir of Ockley :

The History of the Saracens. London. 1847.

A. J. Arberry : The Cambridge School of Arabic Cambridge. 1948. pp. 13 - 16.

A. M. A. H. Karara : Simon Ockley : his contribution to Arabic studies and influence on Western thought (Cambridge Ph. D. Thesis. 1955. Unpublished).

Marfat.com

التاريخية مؤلفاً أكثر قيمة ، ويعرف باسم « تاريخ المسلمين The History of the Saracens » .

ولد اوكلي في اكستر Exeter في سنة ١٦٧٨ .

وفي سنة ١٦٩٣ دخل كوينز كولج Cueens' College في كمبردج .

وفي سنة ١٧٠٥ أتم دراساته الدينية ، وعين قسيساً في Swavesey في مقاطعة كمبردج ، وبها مات في سنة ١٧٢٠ .

وفي ١٧١١ عين أستاذاً لكرسي « سير توماس أدمز » للغة العربية في جامعة كمبردج .

ومؤلفه التاريخي أعد وكتب في ظروف صعبة جداً ، والجزء الأول منه عنوانه « فتوح العرب للشام وفارس ومصر .

The Conquest of syria, Persia and Egypt by the Saracens » وطبع في لندن سنة ١٧٠٨ .

والجزء الثاني عنوانه « تاريخ المسلمين The History of the Saracens » وظهر بعد عشر سنوات من ظهور الجزء الأول .

والكتاب بجزئيه طبع طبعة أخرى تحمل العنوان الأخير في سنة ١٧٥٧ باقتراح من دكتور لونج ناظر كلية بيروك ، والمعروف أن دكتور لونج هو الذي ألف حياة الرسول التي ألحقت بهذه الطبعة من كتاب اوكلي ، وقد أعاد بون Bohn نشر هذه الطبعة في سنة ١٨٤٧ .

وتاريخ المسلمين لأوكلي يعتبر معلماً هاماً في الدراسات التاريخية الاستشراقية لسببين :

الأول : انه المحاولة الأولى لكتابة تاريخ متصل عن العرب باللغة الانجليزية .

والثاني: انه يعتمد إلى حد كبير على المصادر العربية المخطوطة التي لم تكن قد طبعت وقتذاك .

Marfat.com

والجزء الأول يبدأ باختيار أبي بكر خليفة ، ويؤرخ تأريخاً تفصيلياً لعصري أبي بكر وعمر بن الخطاب ، وينتهي بموجز عن عهد عثمان بن عفان، وأوكلي يعنى في هذا الجزء عناية كبرى — كما يدل العنوان — بحروب الفتوح الكبرى وبخاصة فتح الشام .

أما الجزء الثاني فيغطي الفترة من خلافة علي بن أبي طالب الى عهد عبد الملك بن مروان (٣٥ — ٨٦ هـ) .

ولعل السبب في أن أوكلي لم يتعرض للحديث عن الرسول وحياته أن كتاب «بريدو» عن حياة محمد كان يتمتع وقتذاك بشهرة كبيرة وكان في رأيه يسد هذا الفراغ — كما أكد في مقدمة كتابه — (١) .

ولقد كانت المتاعب الخاصة التي كان أوكلي يقاسي منها في حياته هي التي دعته إلى الوقوف بتاريخه عند عهد عبد الملك ، وقد أشار هو إلى هذه المتاعب في مقدمة كتابه ، ويكفي أن نعرف أن هذا التاريخ خرج الى الوجود من قلعة كمبردج حيث كان أوكلي سجيناً بسبب دين قدره ٢٠٠ جنيه.

ومما زاد في متاعب أوكلي أنه كان مضطراً للبحث عن مادة كتابه بين صفحات المخطوطات العربية في المكتبة البودلية ، فإن المراجع الخطية الشرقية الموجودة في مكتبة جامعة كمبردج كانت حتى ذلك الوقت قليلة العدد ، وأقل بكثير من مثيلاتها في مكتبة جامعة اوكسفورد (٢) .

---

(١) Ockley: The History of the Saracens. Cambridge 1757 II. p. xxxv.

(٢) كانت مكتبة جامعة اوكسفورد قد حصلت في أواخر القرن السابع عشر على مجموعات المخطوطات العربية التي كان يملكها لود Laud وبوكوك Pococke وهنتنجتن Huntington .

Marfat.com

وكان أوكلي قد بدأ ، فكتب مسودة كتابه معتمداً على المراجع التاريخية العربية المطبوعة والمتـداولة في أوربا في ذلك الوقت ، وبخـاصة مؤلفات : المكين جرجس بن العميد ، وأبي الفرج بن العبري ، وسعيد بن البطريق ، ولكنه عثر بعد ذلك في زيارته الأولى للمكتبة البودلية على مخطوط ظن أنه مرجع أصيل ، وهو كتاب « فتوح الشام » المنسوب للواقدي .

وعن هذا المخطوط استمد أوكلي القسم الأكبر من مادة الجزء الأول من تاريخه ، فبالمقارنة نجد أن نحو ثلث كتاب أوكلي (نحو ٢٧٧ صفحة من ٨٩١) يتفق تماماً مع كتاب فتوح الشام ، وبدراسة هوامش هذا الكتاب نستطيع أن نتبين كذلك أن أوكلي اطلع على مخطوطات عربية تاريخية اخرى، من بينها : المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ، والجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والسلاطين لابن دقمـاق ، والعقد الفريد لابن عبد ربـه ، واتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى لمحمد بن ابراهيم بن محمد السيوطي ، والأنسي الجليل بتاريخ القدس والخليل لمحيي الدين بن عبد الرحمان .

وعني أوكلي في الجزء الثاني من كتابه بالتاريخ السياسي للخلافة العربية بعد موت عثمان بن عفان ، ولم يعتمد فيه — كما فعل في الجزء الأول — على مرجع واحد ، وإنما أفاد فائدة كبرى من مخطوطات المكتبة البودليـة ، فزارها زيارة ثانية وقضى في أوكسفورد هذه المرة خمسة شهور .

وهوامش هذا الجزء والجدول الملحق به تشير الى أنه أفاد من المخطوطات الآتيـة :

المختصر لأبي الفدا ، والكامل لابن الأثير ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ، وعند حديثه عن علي بن ابي طالب نقل كثيراً من المعلومات عن كتـاب «المكتبة الشرقية Bibliothèque Orientale» لمؤلفه «دربيلو D'Herbelot»

Marfat.com

وهو موسوعة تاريخية من كتب الطليعــة التي عنيت بالشرق ، وطبـع لأول مرة سنة ١٦٩٧ .

ويمتاز أوكلي عن بريدو بأنه كان مؤرخاً أكاديمياً اعتمد في مؤلفه على المصادر الأصيلة ، وإن كان يؤخذ عليه غلطته الكبرى إذ اعتمد « فتوح الشام » كمصدر أصيل ، وكان له العذر وقتذاك ، فإن الشك في نسبة الكتاب للواقدي لم يتحقق إلا في القرن التاسع عشر .

ولكن أوكلي كان ـ في جملته ـ يمتاز على سلفه بوكوك باستعداد أعمق من حيث اختباره للمصادر المعاصرة ، أو المبكرة قبل المتأخرة ، وباعتماده على المصادر الاسلامية أكثر من اعتماده على المصادر المسيحية .

ومع هذا فقد كان في معالجته للموضوع متأثراً بروح العصر وفهمه للاسلام ونبيه ، فهو ينكر ـ كسلفيه ـ نبوة محمد ، وهو يعتقد اعتقادهما بأن الفتوح الاسلامية كانت نازلة كبرى أصابت الكنيسة الشرقية .

وفي مقدمة أوكلي للجزء الأول من تاريخه نجد صدى قوياً لآراء بريدو ، فهو حين يريد أن يدلل على الحاجة الى دراسة التاريخ العربي يقول :

« ليس فقط لأنه نبت بينهم رجال عظام ، ولأنهم قاموا بأعمال جليلة كما قام أي شعب آخر تحت هذه السماء ، ولكن ما يعنينا نحن المسيحيين اكثر ، أنهم كانوا أول معول هدام للكنيسة الشرقية » .

ولكن القارىء لكتاب أوكلي يحس أن اهتمامه بالرجال العظام وبالأعمال الجليلة التي قام بها العرب يفوق اهــتمامه بالتحطيم الذي أصاب الكنيسة الشرقــة .

فهذا الانتقــال بالاهتمام والعنــاية من دراسة تاريخ العرب كعامل مســاعد

Marfat.com

لفهم التاريخ الكنسي الى دراسته كموضوع قائم بذاته يستحق العناية التامة ، هذا الانتقال فيما نرى أهم ما يميز كتاب أوكلي ، فانه يعتبر خطوة هامة في تطور حركة التأليف التاريخي في غرب أوربا .

وقد ظل كتاب « تاريخ المسلمين » لأوكلي موضع اعجاب القارئين والدارسين ومرجع المؤرخين الأوربيين وقتاً طويلاً ، ويكفي أن نشير هنا الى أن المؤرخ الانجليزي الكبير «جيبون» صاحب كتاب « اضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية » كان في مقدمة هؤلاء المعجبين الذين أفادوا من تاريخ أوكلي واعتمدوا عليه ، وقد اوضح برنارد لويس أثر هذا الكتاب في جمهور المثقفين والفكر التاريخي الاوربي في قوله :

« هذا المؤلف يمثل المحاولة الاولى — التي لم يسبقها شبيه لها — لتقديم تقرير عام الى القارىء الانجليزي عما حققته الحضارة العربية في صورة جماهيرية مفهومة ، ومع أن تاريخ أوكلي تنقصه — بصفة عامة — الدقة ، ويعتبر كتاباً عتيقاً من وجهة نظر البحث العلمي الحديث ، الا انه اعتبر في عصره جهداً مشكوراً ، وقابله المؤرخون بتقدير كبير ، وفي مقدمتهم المؤرخ الانجليزي الكبير « جيبون Gibbon » ، وقد أفسح الكتاب لمؤلفه ذكراً باقياً في تاريخ الآداب الانجليزية »[1] .

— جورج سيل George Sale (١٦٩٧ – ١٧٣٦) .

أول مستعرب انجليزي ظهر من غير رجال الدين .

كان أبوه احد تجار لندن،وكان هو تلميذاً في «إنر تمبل Inner Temple » في سنة ١٧٢٠ ، ثم اشتغل بعد ذلك وكيل محام ، وشغف بدراسة اللغة

---

(١) B. Lewis: British Contributions to Arabic Studies

Marfat.com

العربية فتعلمها على يد مسيحي سوري يدعى « دادتشي Dadichi » كان يقيم في لندن في سنة ١٧٢٣ ، ومن المرجح أنه درس كذلك على يـد سوري آخر يسمى « نجري Negri » كان يقيم في لندن في ذلك الوقت ، وكان مكلفاً من « جمعية ترقية المعارف المسيحية The Society for the Promotion of Christien Knowledge » لوضع نص عربي لكتاب المزامير والعهد الجديد وقد عمل سيل كمصحح للترجمة العربية للعهد الجديد ، وظل وثيق الصلة بهذه الجمعية خلال السنوات ١٧٢٦ — ١٧٣٤ .

وبعد ذلك بقليل شغل نفسه بترجمة للقرآن طبعت في سنة ١٧٣٤ ، وظهور هذه الترجمة يعتبر حدثاً هاماً في تاريخ الدراسات القرآنية بالغرب ، فـلم تكن هذه الترجمة أكثر دقة وحسب من الترجمة الانجليزية الوحيدة التي سبقتها والتي قام بها « روس Ross » ، ولكنها كانت تمتاز عنها بالتعليقات المعتمدة على التفسيرات الإسلامية وبخاصة تفسير البيضاوي وتفسير السيوطي وغـيرهمـا .

وامتازت هذه الترجمة كذلك بمقدمة طويلة تشتمل على مجموعة كبيرة من المعلومات التي استطاع سيل الحصول عليها وقتذاك عن أصول الإسلام وعقائده وفروضه ومذاهبه .

وكان لاتجاهات سيل الموضوعية المستنيرة في هذا الجهد العلمي أثر في انفصاله وبعده التدريجي عن جمعية ترقية المعارف المسيحية بعد سنة ١٧٣٤ .

وقد مات سيل بعد قليل في سنة ١٧٣٦ ، وخلف وراءه زوجته واسرته في حالة مالية سيئة ، وضمت مجموعة مخطوطاته إلى المكتبة البودلية .

ولسنا هنا في مجال تقدير قيمة ترجمة سيل للقرآن ، ولكن يعنينا أن نلقي نظرة على المقدمة التاريخية التي قدم بها لترجمته فهي أكثر صلة بموضوعنا .

تكلم سيل في القسم الأول من هذه المقدمة عن العصر الجاهلي ، وفي القسم الثاني عن سيرة النبي ، وهو في القسمين يتفوق على بريدو ، فقد بدأ يتضح

Marfat.com

للدارسين في ذلك الوقت قصور مؤلف بريدو — على الرغم من شهرته وانتشاره وشعبيته — فإن ظهور كتاب بريدو عاصره طبع كتاب « المكتبة الشرقية Bibliothèque Orientale » « لدربيلو D'Herbelot » في سنة ١٦٩٧ ، وظهور طبعة « مارتشي Marracci للقرآن Alcorani textus universus » في سنة ١٦٩٨ مع ترجمته اللاتينية .

وفي سنة ١٧٢٣ ظهر مطبوع تاريخي هام آخر قام على نشره « جانييه Gagnier » في أوكسفورد ، وهو الجزء الخاص بحياة الرسول من كتاب « المختصر في أخبار البشر » لأبي الفدا ، وهو أول نص عربي كامل يطبع في انجلترا عن حياة محمد ، عليه السلام ، وقد ألحق به الناشر ترجمة لاتينية (١) .

والحقيقة أن الجو العلمي في غربي أوربا كان قد بدأ يتغير في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر ، وظهر فيه اتجاه جديد نحو الإسلام والنبي محمد يعتقد أن نظرة بريدو للموضوع أصبحت نظرة قديمة وأن مراجعه التي اعتمد عليها أصبحت غير كافية ، والدليل على ذلك ظهور سيرة جديدة للنبي محمد باللغة الفرنسية Vie de Mahomet كتبها « الكونت هنري دي بولينفييه Count Henri de Boulainvilliers » (١٦٥٨ — ١٧٢٢) ، وطبعت هذه السيرة بعد وفاته في لندن سنة ١٧٣٠ ، وفي السنة التالية ظهرت في لندن ترجمة انجليزية لهذا الكتاب لمترجم مجهول بعنوان :

The Life of Mahomet, translated from the French original by the Count of Boulainvilliers. London 1731.

ويختلف بولينفييه عن بريدو في أنه يعالج الموضوعات الإسلامية بروح

---

(١) J. Gagnier: Ismael Abul-Feda, de vita et rebus gestis Mohammedis. Oxford, 1723.

Marfat.com

العطف فهو يعارض الاتجاهات المسيحية التقليدية في معاداتها للمسلمين وكرهها لمحمد ويوضح هذا قوله :

« مع احترامنا للعقائد الأساسية لـلدين ، فإن كل ما قدمه محمد حق ، ولكنه لم يقدم كل ما هو حق ، وهذا هو كل الفارق بين ديننا ودينه » .

وكتـاب La Vie de Mahomet مثله كمثل كتاب بريـدو يفتقر إلى الأساس العلمي ، والمؤلف يعترف أنه لا يعرف العربية وأنه يدين لكتاب « المكتبة الشرقية » لدربيلو ولغيره من الترجمات .

وقد ترك بولينفييه كتابه غير مكتمل ، فقد وقف عند حوادث السنة الخامسة للهجرة ، فلجأ الناشر الانجليزي إلى جانييه (Gagnier) وطلب منه أن يكتب الفصل الختامي للكتاب ، وقد ذكر جانييه بدوره أن خلافاً نشب بينه وبين الناشر منعه من تنفيذ هذا الاتفاق وأن هذا الفصل الأخير الذي ظهر في النسخة المطبوعة كتبه مؤلف مجهول لم يذكر اسمه .

وفي سنة ١٧٣٢ طبع جانييه كتاباً آخر من تأليفه في سيرة محمد ، وسماه بنفس الاسم (١) Vie de Mahomet ، وفي مقدمة هذا الكتاب ينتقد بولينفييه في كتابه عن حياة محمد ، وبصفة خاصة الصورة الشائقة التي رسمها لمحمد ، وأسلوبه في الكتاب الذي وصفه بأنه أسلوب رومنسي بعيد عن الأسـلوب التاريخي السليم .

ومن الواجب أن ننظر إلى كتاب سيـل على ضوء الكتابين الآخرين المشابهين اللذين ظهرا في وقت مقارب لظهوره ، وقد عالج سيل في المقدمة الطويلة التي قدم بها لكتابه الموضوعات الآتية :

---

(١) J. Gagnier: Vie de Mahomet. 2 vols. Amsterdam: 1732

Marfat.com

— جغرافيــة بلاد العرب .

— القبائل العربية .

— تاريخ العصر الجاهلي .

— أديان العرب قبل الاسلام .

— ثقافة العرب .

وقد اعتمد سيل في دراسته لجغرافية بلاد العرب على المراجع اليونانية والمراجع العربية ، وبصفة خاصة :

— على القسم الذي كان قد نشره بوكوك من كتاب « نزهة المشتاق » للشريف الادريسي Geographia Nubiensis .

— وعلى تاريخ أبي الفرج بن العبري .

— وعلى كتاب تقويم البلدان لأبي الفدا (وكان جانييه قد نشر قسماً من هذا الكتاب في أوكسفورد في ١٧٢٦ — ١٧٢٧) .

— وعلى تعليقات بوكوك في كتابه « نماذج من تاريخ العرب » .

— وعلى تعليقات جوليوس Golius في نشرته لكتاب الفرغاني .

ومن المفيد أن نضيف كذلك أن سيل استعان بما كتبه جوزيف بتس [1] ، وهو أول انجليزي استطاع أن يزور مكة .

---

(١) Joseph Pitts: A faithfull account of the religion and manners of the Mahometans. London, third edition, 1731.

وقد أعيد طبع قسم منه بتحقيق وليم فوستر William Foster بعنوان :

The Red sea and adjacent countries. London, Hakluyt Society, series 11, C, 1949.

Marfat.com

أما الجزء الثاني من مقدمة سيل فينقسم إلى قسمين ، فهو يصف أولا أحوال المسيحية واليهودية والامبراطورية الفارسية إبان الفتح الإسلامي ، وفي هذا القسم يستعين إلى حد محدود بالمراجع العربية ، وباستثناء إشارة واحدة إلى القرآن ، وأخرى إلى رواية بوكوك عن المزدكيـة والتي استقاها من أبي الفدا والشهرستاني ، فإنه لا يستشير إلا المؤرخين العربيين المسيحيين السالف ذكرهما :

المكين جرجس بن العميد ، وأبا الفرج بن العبري .

وفيما عدا هذا فهو يعتمد اعتماداً كبيراً على المراجع البيزنطية والحديثة ، وهو يرجع إلى بريدو ، وأوكلي ، وبولينفييه حيث يصف أخطاء المسيحية وانقساماتها المذهبية ، ويقتدي بأسلافه هؤلاء حين يقول إن العرب إنما أقامهم الله لهدف خاص : أن يكونوا سوط عذاب للكنيسة المسيحية ، لأنها لم تتجاوب مع الدين الحق الذي منحه الرب لها .

أما مرجع سيل الرئيسي عن حياة محمد فقد كان طبعة جانييه لأبي الفدا.

ويمتاز سيل عن سابقيه بأشياء كثيرة ، منها تحرره من التعصب الديني ، ورأيه الواضح أن المؤلفين العرب هم خير المراجع لكتابة تاريخ العرب ، وأن التفاسير الإسلامية هي أصلح من غيرها لفهم القرآن .

وهذه الآراء كلهـا تدل على تقدم علمي كبير ، وقد ظلت القيادة في الأوساط العلمية في غرب أوربا لكتابي سيل وأوكلي مدة تزيد على قرن من الزمان، وظل لهما التأثير الواضح في خلق الفكرة السائدة بين المثقفين الانجليز عن النبي محمد وعن العرب وتاريخهم .

Marfat.com

Marfat.com

مراجع البحث

أ ـــ المراجع العربيـــة

ب ـــ المراجع غير العربيـة

Marfat.com

Marfat.com

أ ــ المراجع العربية

١ ــ ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمـــد بن القاسم)
« عيون الأنباء في طبقات الأطباء » ، تحقيق نور الدين عبد القادر ، وهنري جاهيه ، الجزائر ، ١٩٥٨ .

٢ ــ الأدفوي (كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب)
« الطالع السعيد » .

٣ ــ أماري (ميشيل)
المكتبة الصقلية Bibliotica Arabo - Sicula في جزئين .

٤ ــ بالنثيا (أنجل جنثالث)
« تاريخ الفكر الأندلسي »
Historia de la Literatura Arabigo - Espanola
ترجمه إلى العربية مع تعليقات حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥

Marfat.com

٥ — بروفنسال (ليفي) .

« الإسلام في المغرب والأندلس »

« Islam d'Occident » ، ترجمه السيد محمد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، القاهرة ١٩٥٦ .

٦ — ابن البطريق (سعيد ، أوتيخيوس) .

« التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق في معرفة التواريخ من عهد آدم إلى سني الهجرة » ، نشره مع ترجمة لاتينية « يوحنا سلداني » ، و « أدوار بوكوك » ، أوكسفورد ١٦٥٨ — ٥٧ (ونشر النص العربي مع « ذيل يحيى بن سعيد » في بيروت ١٩٠٦ — ٩) .

٧ — توفيق (عمر كمال)

وليم الصوري المؤرخ ، مقال معد للنشر بمجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية .

٨ — ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد)

« الرحلة » .

٩ — جرونيباوم (جوستاف)

حضارة الإسلام Medieval Islam ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٠ — ابن جلجل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي)

« طبقات الأطباء والحكماء » ، نشر فؤاد السيد ، القاهرة ١٩٥٥ .

Marfat.com

١١ — حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله)
« كشف الظنون عن أسما من الكتب والفنون » .

١٢ — حبشي (حسن)
« أعمـال الفرنجة وحجاج بيت المقدس » (ترجمة إلى العربيـة)

١٣ — ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)
« كتاب العبر »

١٤ — ابن خلكان (شمس الدين أبو العباسي أحمد بن ابراهيم بن أبي بكر الشافعي)
« وفيات الأعيان » .

١٥ — دانتي اليجييري
« الكوميديا الإلهية » (الجحيم) ترجمة حسن عثمان ، القاهرة ١٩٥٩ .

١٦ — ريسلر (جاك س.)

١٧ — سركيس (يوسف اليان)
« معجم المطبوعات العربية » ، القاهرة ١٩٢٨ .

١٨ — زيادة (محمد مصطفى)
« حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة » (مطبوعات المجلس الأعلى لرعـاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية) ، القاهرة ١٩٦٢ .

Marfat.com

١٩ — سارطون (جورج)
« تاريخ العلم » .

٢٠ — ابن سبعين
« الكلام على المسائل الصقلية » ، نشر شرف الدين يلتقايا ، بيروت ١٩٤١ .

٢١ — « رسائل ابن سبعين » ، نشر الدكتور عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٥٦ .

٢٢ — السبكي (تاج الدين)
« طبقات الشافعية » .

٢٣ — سعداوي (نظير حسان)
« ثلاثة من مؤرخي الحروب الصليبية » ، القاهرة ١٩٥٧ .

٢٤ — ابن شاكر الكتبي
« فوات الوفيات » ، القاهرة ١٩٥١ .

٢٥ — ابن شداد (بهاء الدين)
« النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤ .

٢٦ — الشيال (جمال الدين)
« التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر » ، القاهرة ١٩٥٨ .

Marfat.com

٢٧ – تاريخ مصر الإسلامية ، جزءان ، الاسكندرية ١٩٦٧ .

٢٨ – جمال الدين بن واصل وكتابه « مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » (رسالة دكتوراه لم تنشر بعد) .

٢٩ – الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك) .
« الوفيات » (الوافي بالوفيات)

٣٠ – نكت الهميان في نكت العميان .

٣١ – الضبي
« بغية الملتمس » ، مدريد ١٨٨٧ .

٣٢ – طوقان (قدرى)
« تراث العرب العلمي » ، القاهرة ١٩٥٤ .

٣٣ – عاشور (سعيد عبد الفتاح)
« أوربا العصور الوسطى » ، جزءان ، القاهرة ١٩٥٩ .

٣٤ – (بالاشتراك مع محمد أنيس) النهضات الأوربية في العصور الوسطى وبداية الحديثة ، القاهرة ١٩٥٦ .

٣٥ – عباس (إحسان)
« العرب في صقلية » ، القاهرة ١٩٥٩ .

Marfat.com

٣٦ — ابن العبري (أبو الفرج الملطي Bar - Hebraeus)

« تاريـخ مختصر الدول » ، نشره مع ترجمة لاتينية بوكوك ، أوكسفورد ١٩٦٣ .

٣٧ — عبد البديع (لطفي)

« الإسلام في اسبانيا » ، القاهرة ١٩٥٨ .

٣٨ — عبد العليم (أنور)

« ابن ماجد الملاح » ، القاهرة ١٩٦٧ .

٣٩ — ابن عذاري (أبو محمد عبد الله المراكشي)

« البيان المغرب » ، الجزء الرابع ، نشر ليفي بروفنسال .

٤٠ — العريني (السيد الباز)

« مؤرخو الحروب الصليبية » ، القاهرة ١٩٦٢ .

٤١ — العقاد (عباس محمود)

« ابن رشد » (سلسلة نوابغ الفكر العربي) ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٧ .

٤٢ — « أثر العرب في الحضارة الأوربية » ، القاهرة ١٩٦٠ .

٤٣ — العقيقي (نجيب)

المستشرقون ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٦٤ — ١٩٦٥ .

Marfat.com

٤٤ — العماد الأصفهاني (محمد بن محمد بن حامد)

« الفتح القسي في الفتح القدسي » .

٤٥ — ابن العميد (المكين جرجس)

« تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد إلى الدولة الأتابكية » نشره مع ترجمة لاتينية أربينيوس ، ليدن ١٩٦٢ .

٤٦ — عنان (محمد عبد الله)

« نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين » ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٦ .

٤٧ — كراتشكوفسكي (أغناطيوس يوليانوفتش)

« تاريخ الأدب الجغرافي العربي »، ترجمه عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ، جزءان ، القاهرة ١٩٦٣ — ١٩٦٥ .

٤٨ — ابن كثير

« البداية والنهاية » .

٤٩ — ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك) .

« الاكتفاء في أخبار الخلفاء » ، الجزء الخاص بالأندلس ، نشر وتحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد) .

Marfat.com

٥٠ – المدني (أحمد توفيق)

« المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا » ، الجزائر ١٣٦٥هـ.

٥١ – المقري (أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن)

« نفح الطيب »

٥٢ – ابن منقذ (أسامة)

« كتاب الاعتبار » ، نشر فيليب حتي .

٥٣ – مؤنس (حسين)

« تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس » ، (مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد) ، مدريد ١٩٦٧ .

٥٤ – « السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين » (المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث العـــدد الأول ، مايو ١٩٥٠ ، ص ٣٧ – ٨٧) .

٥٥ – ابن ميسر (محمد بن علي بن يوسف بن جلب) .

« أخبار مصر » ، نشر هنري ماسيه ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩١٩ .

٥٦ – ابن نظيف (محمد بن علي ، الحموي) .

« التاريخ المنصوري » ، نشر بطرس غريا زنيوريج ، موسكو ١٩٦٠ .

٥٧ – النهرواني (قطب الدين)

« البرق اليماني في الفتح العـثماني » (مخطوطة دار الكتب) .

Marfat.com

٥٨ – هرنشو

« علم التاريخ » ، ترجمة عبد الحميد العبادي ، القاهرة ١٩٣٧ .

٥٩ – هونكه (سيجريد)

« شمس الله على الغرب » (أو فضل العرب على أوربا) ، ترجمة فؤاد حسنين علي ، القاهرة ١٩٦٤ .

٦٠ – ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) .

« مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٥٤ – ١٩٦١ ، والقسم الأخير الذي لم ينشر بعد يراجع في مخطوطات باريس واستانبول .

Marfat.com

Marfat.com

ب — المراجع غير العربية

1 — Albornoz (C. Sanchez).
= La Cronica del Moro Rasis. Anales de la Univeridal de Madrid, 1934.

2 — Alonso (Sanchez).
= Historia de la Historiografia Spanola. Madrid,

3 — Arberry (A. J.)
= British Orientalists. London, 1943.

4 — = The Cambridge School of Arabic. 1948.

5 — Arnold (T.), and Guillaume (A).
= The Legacy of Islam. Oxford, 1931.

6 — Asin Palacios (Miguel).
= La Escatologia Musulmana en la Dirina
= Commedia, Madrid, 1919 ; abridged
= English trans. by H. Sunderland: Islam and The Eivine Comedy. London, 1926.

Marfat.com

7 — Atiya (Aziz S.)
= Crusade, Commerce and Culture.
Bloomington, 1962.

8 — Boulainvilliers (Count Henri de)
= La Vie de Mahomet. London, 1730. (and the English translation under the title : The life of Mahomet. London, 1731).

9 — Brockelman (C.)
= Geschichte der Arabisher Litteratur, 2 vols.
Weimar, Berlin 1898 — 1902, & Supplementband,
Leiden 1937 — 1938.

10 — Chalandon (E.)
= La Domination Normande en Italie et Sicile,
1009 — 1094. Paris, 1907.

11 — D' Herbelot
= Bibliothèque Orientale. Paris, 1697.

12 — Dozy (R.)
= Le Cid d'après des Nouveaux Textes (dans: Recherches sur L'Histoire de L'Espagne pendant le Moyen-âge. 1881.

13 — Echellensis (Abraham)
= Historia Arabum, supplement to Chronica Orientale.
Paris, 1651.

14 — Erpenius (Thomas)
= Historia Saracenica. Leiden, 1625.

15 — Qreeman (E.A.)
= History of Sicily. London, 1891.

16 — Quck (Johanne)
= Die Arabischen Studien in Europe. Leipzig, 1944.

Marfat.com

17 — Qulton (A.S.)
= The History of Hayy ibn Yaqzan by Abu Bakr ibn Tufail, translated from the Arabic by Simon Ockley, revised with an Introduction. London, 1929.

18 — Gagnier (J.)
= Ismael Abul-Qeda, de vita et rebus gestis Mohammedis. Oxford, 1723 .

19 — Vie de Mahomet. 2 vols. Amsterdam, 1732.

20 — Gooche
= History and Historiens in the 19th Century, second edition. London, 1952.

21 — Grunebaum (Gustave E. von)
= Islam : Essays in the Nature and Growth of a Cultural Tradition. Menasha, Wise, 1955.

22 — = Medieval Islam, A Studyin Cultural Orientation. Chicago, 1953.

23 — Guillaume (A)
= Philosophy and Theology in The Legacy of Islam. Oxford, 1931.

24 — Haskins (C. N.)
= Studies in the History of Medieval Sciences. Cambridge, Mass, 1934.

25 — Hinckelmann (Abraham)
= Al-Coranus s. Lex Islamica Muhammedis. Hamburg, 1694.

26 — Holt (P.M.)
The Study of Arabic Historians in Seventeenth Century England: the back ground and the work of Edward Pococke. B.S.O.A.S. (1957).

Marfat.com

27 — Hottinger (J.H.)
= Historia Orientalis. Zurich, 1651 and 1660.

28 — Rantorowiez
= Frederick the Second.

29 — Karara (Azza)
= Simon Ochley, His Contribution to Arabic Studies and Influence on Western theought (unpublished Ph. D. Thesis).

30 — Krames (J.H.)
= «Geography and Commerce» in The Legacy of Islam. London, 1949.

31 — La Monte (J.L.)
= «Crusade and Jihad» in The Arab Heritage. ed. By N.A. Faris. Princeton, N.J., 1944, 159-98.

32 — = Some Problems in Crusading Historiography. (Speculum. xv, 1940).

33 — Lewis (Bernard)
= British Contributions to Arabic Studies. London, 1941.

34 — = Mas'ude on the Kings of the Qranks. in (Al-Mas'ude Millenary Commemoration Volume. Aligarah, 1960. PP. 7 - 10).

35 — = The Muslim Discovery of Europe. BSOAS (1957), XX 409 - 16.

36 — = The Use by Muslim Historians of Non Muslim Sources. in Historians of the Middle East. edit. By: B. Lewis and P.M. Holt. London, 1962.

37 — Marracci
= Alcorani Textus Universus. London, 1698.

Marfat.com

38 — Meyerh of (M.)
= Science and Medecine. In The Legacy of Islam.

39 — Momigliono (A.)
= The Place of Herodotus in the History of Historiography. (History 1958, xLIII, 1-13).

40 — Morenos (Gomez)
= Las Primeras Cronicas de la Reconquista. (Bol. Hist. 1932).

41 — Munro (D.C.)
= The Kingeom of the Crusaders. New-York, 1935.

42 — = «The Western Attitude towards Islam during the Period of the Crusades». in Speculum, 1937, vl.

43 — Nicholson (R.A.)
= Studies in Islamic Mysticism. Cambridge, 1921.

44 — Ockley (Simon)
= The History of the Saracens. Cambridge, 1757 & London, 1847.

45 — O'Leary (De Lacy)
= Arabic Thought and its Place in History. London, 1954.

46 — Paetow (I. J.)
= The Crusades and other Historical Essays. New-York, 1928.

47 — Peers (E.A.)
= Fool of Love. London, 1946.

48 — - A Life of Ramon Lull. London, 1927.

49 — Pidal (R. Menendez)
= Floresta de Leyendas. Madrid, 1925.

Marfat.com

50 — = Edit: Primera Cronica General de Espana. Madrid, 1906.

51 — = La Espana del Cid. Madrid, 1948.

52 — Pitts (Joseph)
= A faithful account of the religion and manners of the Mahometans. London, third edition, 1731. (and it was edited by William Foster under the title, The Red Sea and adjucent Countries. London, 1949).

53 — Pococke (E.)
= Specimen Historiae Arabum, Oxonu, 1649.

54 — Prideaux (H.)
= The True Nature of Imposture Fully Display'd in the Life of Mahomet. London, 1697.

55 — = The Life of Mahomet. 8th edition, London, 1723.

56 — Provinçal (Levi)
= Islam d'Occident.

57 — Roncoglia (M.)
= St. Francis and the Middle East. 3rd edition (Franciscan Center of Oriental Studies). Cairo, 1957.

58 — Rosenthal (F.)
= A History of Muslim Historiography. London, 1952.

59 — Ross (Alexander)
= The Alcoran of Mahomet. London, 1649.

60 — Runcimen (S.)
= A History of the Crusades, 3 vols. Cambridge, 1951 — 54.

Marfat.com

61 — Rundorff (D. E.)
= «European Influence of Hayy Ibn Yaqzan» in: Islamic Literature, year 1v no 5, May 1952.

62 — Sarton (George)
= Introduction to the History of Science, 3 vols. Baltimore, Md., 1927 — 48.

63 — Simonet (Francisco Javier)
= Historia de los Mozarabes de Espana, Madrid, 1903.

64 — William of Tyre
= A History of Deeds done beyond the Sea. trans, E.A. Babcock & A.C. Krey. New-York, 1943.

Marfat.com